وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم علوم انسانية

الطرق والمسالك وأثرها على العلاقات بين المغرب الاوسط والسودان الغربي خلال العهد الزياني (7 - 9 هـ / 13 – 15 م)

مذكره مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر اكاديمي في تاريخ مغرب اسلامي

تخصص: مغرب وسيط

اعداد الطالبات :
بـــاسي مسعودة
سبوعي رشيدة
شنطـــابي زينب

تحت اشـــراف :
بن عماره أسماء

نوقشت المذكرة : علنا يوم 2024/09/22

أمام اللجنة المكونة من الاساتذة

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الحميد زيدور	أستاذ	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
أسماء بن عماره	دكتورة	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
السعيد عقبة	أستاذ	جامعة الشهيد حمة لخضر	ممتحنا

السنة الجامعية : 2024/2023

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم علوم انسانية

الطرق والمسالك وأثرها على العلاقات بين المغرب الاوسط والسودان الغربي خلال العهد الزياني (7 - 9 هـ / 13 – 15 م)

مذكره مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر اكاديمي في تاريخ مغرب اسلامي

تخصص: مغرب وسيط

اعداد الطالبات :
بـــاسي مسعودة
سبوعي رشيدة
شنطـــابي زينب

تحت اشـــراف :
بن عماره أسماء

نوقشت المذكرة : علنا يوم 2024/09/22

أمام اللجنة المكونة من الاساتذة

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الحميد زيدور	أستاذ	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
أسماء بن عماره	دكتورة	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
السعيد عقبة	أستاذ	جامعة الشهيد حمة لخضر	ممتحنا

السنة الجامعية : 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيله " و إذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ..... " الآية رقم (07) سورة ابراهيم

الحمد لله أولا وأخيرا وله الثناء بكرة وأصيلا نحمد الله على ما يسر لنا من أسباب لإنجاز هذا البحث المتواضع

نتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من مد لنا يد العون سواء بالتوجيه أو بالتنبيه

ونخص بالشكر والتقدير للأستاذة **أسماء بن عماره** التي تفضلت بالإشراف على هذا العمل

إهـــــداء

إلى من أفنت حياتها وغمرتنا بحبها الى من تسهر لسهرنا وتفرح لفرحنا أمي الغالية حفظها الله

إلى روح أبي الغالي رحمه الله

إلى زوجي الغـــالي

إلى اختي التي لم تلدها أمي أم هاني

إلى أولادي قرة عيني

إلى حفيدي صادق أمين

إلى أخواتي وإخوتي

إلى بنات أخواتي وأخوتي حفظهم الله

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي

مسعودة

إهـــــداء

اهدي ثمرة مجهودي وعملي هذا إلى

إلى روح والديا الغاليين أسأل الله أن يرحمهما برحمته الواسعة ويسكنهما

الفردوس الأعلى

إلى سندي في الحياة زوجي الغالي

إلى ابني الغالي محمد الأمين

إلى إخوتي و أخواتي حفظهم الله ورعاهم

رشيدة

إهـــــداء

الحمد لله على أفضاله والشكر له على تيسيره في شق طريق العلم والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أهدي ثمرة جهدي هذا

إلى من غمرتني بحبها و حنانها أمي العزيزة

إلى من يكد ويتعب ليؤمن لنا حياة كريمة وسعيدة إلى الذي يوصينا بالإيمان والتقوى والعمل الصالح أبي الغالي

إلى فلذات كبدي أبنائي الأعزاء محمد و هناء

الى إخوتي وأخواتي خاصة خديجة حفظهم الله ورعاهم

إلى كافة الأهل والأحباب والأقارب

زينب

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ج	جزء
مج	مجلد
ط	طبعة
ص	صفحة
ص – ص	عدد صفحتين
(د- ت)	دون تاريخ
هـ	هجري
م	ميلادي
تر	ترجمة
تح	تحقيق
(د، م ن)	دون مكان نشر
(د ، د ، ن)	دون دار نشر
(د ، ب)	دون بلد
ع	عدد
(د ، ط)	دون طبعة
(ط م م)	طبعة مزيدة ومنقحة
(ط خ)	طبعة خاصة
تع	تعليق

مقدمـــــــــة

مقدمة:

لعبت العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي دورا هاما في تاريخ الضفتين فهي لم تكن وليدة ظهور الإسلام بل كانت منذ فترات سابقة لكنها تنامت وازدهرت مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الاسلامي، حيث شكلت التجارة دورا هاما في ربط المنطقتين بشبكة من الطرق التي كان لها الدور الكبير في إحياء المدن وتنامي العلاقات التجارية و الثقافية التي تعتبر من أبرز السمات للعلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي.

وقد ازدهرت التجارة في الفترة الممتدة ما بين (7 هـ – 10 هـ /12 م –16 م) وكانت من الأنشطة الرائجة في بلاد المغرب الأوسط خاصة وأن جملة من العوامل التي ساهمت في ذلك وفي مقدمتها الموقع الاستراتيجي للمنطقة الذي لعب دور الوسيط وهمزة وصل بين بلاد السودان الغربي وباقي الأقاليم، ومع الحكم الزياني على المغرب الذي دام زهاء ثلاثة قرون عرف المغرب الأوسط تطورا في جميع الميادين ما دفع بحكامها للتطلع الى أماكن بعيده لنشر الثقافة العربية الإسلامية لتكون أسواقا يروج فيها لمنتوجاتهم ويجلبون منها مواد وسلع ثمينة، حيث عرفت هذه الأخيرة حركة تجارية و ثقافية واسعة يرجع كل ذلك إلى دور الطرق والمسالك الرابطة بينهما، فكانت بمثابة الرابط بين المغرب الأوسط والسودان الغربي ولولا هذه الطرق لما انتشر الإسلام في غرب افريقيا، كما كان للهجرات العربية و البربرية دورا بارزا في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، فقد أخذت هذه القبائل تتوغل نحو الجنوب فأخضعت قبائل السودان لسلطانها.

وهذا ما نحن بصدد دراسته في بحثنا هذا والمتمثل في:

الطرق والمسالك وأثرها على العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي (7هـ –13م/ 9هـ – 15م)

- **أهمية الموضوع:** وقع اختيارنا لهذا الموضوع لمعرفة كيف ساهمت هذه الطرق في تنشيط التجارة بين ضفتي الصحراء الكبرى الشمالية والجنوبية منها إضافة الى دورها في تفعيل التواصل بجميع جوانبه في المغرب الأوسط والسودان الغربي.
- **أهداف البحث:**

تتمثل في إبراز دور الطرق والمسالك في تنشيط العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي و كذا أساليب انتشار الإسلام في السودان الغربي وإظهار مدى تأثيره على الحياة العامة للسودان الغربي.

- **إشكالية البحث :**

توطدت العلاقات التاريخية بين السودان الغربي والمغرب الأوسط في عهد دولة بني عبد الواد التي تعتبر أزهى فترات تاريخ الصلات والروابط التي صبغت ببصماتها في سجل التطورات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي عرفها المغرب الأوسط والسودان الغربي لذلك قمنا بصياغة الإشكالية التالية:

كيف ساهم التقارب الجغرافي بين دول المغرب الأوسط والسودان الغربي في بروز شبكة الطرق والمسالك، والى أي مدى أثر ذلك على العلاقات بين الضفتين الشمالية والجنوبية للصحراء الكبرى؟

- **التساؤلات الفرعية :**

- كيف ساهمت الطرق والمسالك في توطيد العلاقات بين دول المغرب الأوسط والسودان الغربي؟
- في ما تتمثل مظاهر التبادل التجاري بين الإقليمين؟
- ما مدى مساهمة التجارة في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ؟
- ما مدى تأثير هذه الطرق في ازدهار الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في السودان الغربي؟

- **هيكل الدراسة:**

وللإجابة على هذه التساؤلات قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعه فصول، فصل تمهيدي ثم فصل أول تناولنا فيه أهم الطرق والمسابق الرابطة بين المغرب الأوسط والسودان الغربي، أما الفصل الثاني فتناولنا فيه العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وأهم المراكز التجارية في الضفتين الشمالية والجنوبية للصحراء الكبرى وأهم السلع المتبادلة ثم العلاقات الفكرية والثقافية تناولنا فيه كيفية انتشار الإسلام وأساليب انتشاره، أما الفصل الأخير فتطرقنا فيه لأثر الطرق والمسالك على السودان الغربي في جميع الأصعدة ثقافيا واجتماعيا وعمرانيا واقتصاديا .

- **المنهج المتبع :**

أما عن المنهج المتبع فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي السردي والوصفي وذلك من خلال سردنا لأهم الطرق والمسالك ووصفنا للمدن والمراكز في المغرب الأوسط والسودان الغربي واتبعنا المنهج التحليلي حيث تجلى ذلك في أثر الطرق على الجانب الثقافي والاجتماعي والعمراني والاقتصادي .

الدراسات السابقة :

من خلال اطلاعنا على الدراسات السابقة تبين لنا وجود دراسات قريبة من موضوعنا مثل:

مذكره دكتورة بوداوية مبخوت تحت عنوان: العلاقات الثقافية والتجارية والسودان الغربي في عهد الدولة الزيانية

المصادر و المراجع : ومن أهم المصادر و المراجع التي ساعدتنا نذكر :

- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (561 هـ / 1165 م) .
- المسالك والممالك لأبي عبيد البكري (487 هـ / 1094 م) .
- الديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون(808 هـ / 1406 م) ، والتي ساعدتنا في التعريف بالضفتين الشمالية والجنوبية للصحراء الكبرى ، كما ساعدتنا في وصف الطرق الرابطة بين المغرب الاوسط والسودان الغربي وكذا التعريف بالمدن و المراكز التجارية .
- الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من (400 هـ الى 1100 هـ) أبو بكر إسماعيل ميقا .
- انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء لعبد الله سالم بازينة .
- دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مؤلفات العرب والمسلمون لعبد القادر زبادية ، ساعدتنا هذه المراجع في تسليط الضوء على العلاقات بين الضفتين ، وانتشار الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا .

الصعوبات : وقد اعترضتنا عدة صعوبات في انجازنا لهذا الموضوع، وقد حاولنا بجهدنا أن نعمل على تخطي ما استطعنا منها ومن بينها:

أما فيما يخص العراقيل والصعوبات فقد واجهت البحث بعض الصعوبات والمتمثلة في تشتت المادة وقلتها إن وجدت نجدها لا تعالج الموضوع بصورة كبيرة بل تعالجه بصفة عامة.

وتوصلنا في نهاية هذا البحث إلى مجموعة من النتائج جاءت في الخاتمة كانت عبارة عن استنتاجات خرجنا بها من خلال دراستنا الطرق والمسالك وأثرها على العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي (7هـ -13م/ 9هـ - 15م)

وفي الأخير لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد، وعلى رأسهم الأستاذة المشرفة الدكتورة **أسماء بن عماره**، والشكر موصول أيضا لكل أعضاء لجنة المناقشة المحترمة لمناقشة هذا العمل والحرص على تصويبه.

الفصل التمهيدي

جغرافية المغرب الأوسط والسودان الغربي والجذور التاريخية

❖ **جغرافية المغرب الأوسط والسودان الغربي والجذور التاريخية للتواصل بينهما :**

لقد تبوأت دول المغرب الأوسط أهمية كبيرة بفضل موقعها الجغرافي المتميز الذي يتوسط المغربين الأدنى والأقصى .

حيث عرف الفيروز أبادي المغرب قائلا : (الغرب هو الذهاب والتنحي وأول الشيء وحده)[1] .

ومن هنا يمكن القول أن بلاد المغرب من الغرب عكس المشرق من جهة الشرق

تتمثل حدودها من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب [2] إلى آخر بلاد المغرب وجده مدينة سلى[3] .

وهناك من الجغرافيون يرى أن بلاد المغرب نصفان ممتدان على بحر الروم أي شرقي وآخر غربي ويتمثل في جهة الشرق من مدينة برقة وإفريقية و تاهرت (تيهرت) وطنجة حتى السوس أما جهة الغرب يتمثل في بلاد الأندلس ومن الجنوب أوروبا [4] .

1- حدود ومجال المغرب الأوسط :

إن ما يلاحظ في التعريف بالمغرب الأوسط وتحديد مجاله الجغرافي على غرار المغربين الأدنى و الأقصى فإن المؤرخون يتجهون إلى ذلك اعتمادا على الحواضر والتي كان أهمها مدينة تلمسان حاضرة المغرب الأوسط ، فقد كانت مركزا للإشعاع الحضاري والازدهار في مناح عديدة من الحياة طيلة ردح من الزمان امتد من القرن (7 هـ / 12 م) إلى غاية القرن (10 هـ / 15 م)

وعن تحديد المغرب الأوسط يقول ابن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) (فهو في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن ومديونة و مغيلية و كومة و مطغرة مطماطة ثم صار من بعدهم لبني وماتوا وبني يلمومي ثم صار لبني عبد الواد ، وتوجين من بني مادين ، قاعدته لهذا العهد تلمسان وهي دار ملكه [5]) .

---

[1] مجد الدين محمد الفيروز أبادي : القاموس المحيط : تح : محمد نعيم العرقسوسي ، ط8،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 2005 ، ص 112

[2] **بلاد المغرب لغة** : عرفها ابن منظور : (الغرب خلاف الشرق) وهو المغرب ، وقوله تعالى : " رب المشرقين ورب المغربين " أحد المغربين أقصى ماتنته إليه الشمس في الصيف والآخر أقصى ماتنته إليه الشمس في الشتاء ، أنظر ، جمال الدين محمد مكرم ابن منظور، لسان العرب ، د ط ، تح ، علي عبد الله الكبير واخرون ، دار المعارف، القاهره ، (د س ن) ، ص ، ص 24 ، 32.

[3] أبن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح :كولان بروفيسنال ، ط3 ،ج 1 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1983 ،ص5.

[4] أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري : المسالك والممالك ، تح : ميخائيل ديغويه ، ، ط1 ، مطبعة بريل ، ليدن ، هولندا ،1927 ص 36.

[5] ابن خلدون يحي أبو زكرياء بن محمد ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، مج 1 ، مطبعة بيار فونطانة ، الجزائر، 1903 ص 6.

أما القلقشندي فقد سلك في تحديده للمغرب الأوسط مسلك من يعرفه بحواضره قائلا عن مملكة تلمسان : " ...فهي مملكة المغرب الأوسط ..." أما حدودها فمن الشرق حدود إفريقية وما أضيف إليها ومن جهة الغرب ، وحدها من الشمال البحر الرومي وحدها من الغرب حدود مملكة فاس ... وحدها من الجنوب المفاوز الفاصلة بين المغرب الأوسط وبلاد السودان ... وأن حدها من جهة الغرب داو ملوية الفاصل بينهما ومابين المغرب الأقصى إلى واد مجمع من جهة الشرق الفاصل بينها وبين إفريقية[1] .

ومهما يكون من أمر ، فإن الجغرافيين والمؤرخين وبعض العلماء حددوا لنا الرقعة الجغرافية للمغرب الأوسط ، وكادوا يجتمعون على حدوده ويتفقون عليه على الرغم من ديمومة حركه القبائل المستمرة ، مما جعل الحدود بين هذه الدول تخضع للتوسع والتقلص في بعض المراحل ، بسبب حالة القوة والضعف للدول المتعاقبة على المغرب وتسخير استثمار خدمة القبائل لأهدافها السياسية والعسكرية والاقتصادية والمذهبية [2] .

ويشير ابن خلدون الخبير بأوضاع المغرب الأوسط ، الى أنه بلد زناته التي تستقر في الإقليم الواقع ما بين الزاب شرقا و و نهر ملوية غربا ، وهو الوادي المعروف قديما بملوشة ، وهي حدود ثابتة تقريبا من الغرب ولم تتغير إلا في بعض الأوقات و الحالات . وأعتبر المنطقة الممتدة من الجزائر إلى بجاية ودواخلها بلاد صنهاجة الشمال ، وعاصمتها مدينة " أشير " بالمدية حاليا ، وكذلك حيث كانت تستقر زواوة وجعل المنطقة الممتدة من بجاية الى ما وراء قسنطينة ، تقطنها قبائل كتامة وعجيسة و جراوة .غير أن هذا التقسيم أستند إلى التوزيع قبلي صرف لمرحلة ما قبل القرن 5 هـ / 11 م

وحدد الجغرافي الادريسي إقليم المغرب الأوسط ، في نهاية القرن 6 هـ /12 م بقوله " **ومدينة بجاية في وقتنا ، مدينة المغرب الأوسط ، وعين بلاد بني حماد ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب الأوسط** "

أما الحدود الشرقية ، ففي أغلب الأحيان ، إمتدت إلى ما وراء بونة ، كما أشار إلى ذلك المؤرخ عبد الواحد المراكشي (647هـ /1249 م) بقوله : " **ومدينة بونة هي أول حد بلاد إفريقية** "

[1] أبي العباس القلقشندي ، صح الأعشى ، د ط ، ج 5 ، دار الكتاب الخديوية مطبعة الاميرية ، القاهرة ، 1915 ، مصر ، ص 149.

[2] عبد العزيز فيلالي ، بحوث في تاريخ المغرب الاوسط في العصر الوسيط، ، د ط ، ج1 ، دار الهدى ،الجزائر ، 2014 ، ص11.

وإتفق معه ابن سعيد المغربي حيث جعل : " **أول سلطنة إفريقية على البحر مدينة بونة** " وضبط عبد الرحمان ابن خلدون ، الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط إلى ورجلان و الصحراء في عهد بني حماد [1].

وقد غلب على العلاقات الزيانية والحفصية الصراع والتنافس للاستحواذ على أكبر قسم من الدولة الموحدية كما كانت العلاقات الزيانية و المرينية تتسم بالعداء الشديد فلم تسلم هذه الأخيرة من الحملات الحفصية بل عانت من الحصار المريني لتلمسان لمرات عديدة ولهذا كانت حدودها غير مستقرة تارة للشرق وتارة للغرب بين كر ومفر .

كانت حدود هذه الدولة غير ثابتة ، إذ أنها كانت تضيق وتتسع حسب قوة جيرانها من بني حفص شرقا ومن بني مرين غربا إلا أنه يمكن القول بأن حدودها كانت تمتد من البحر المتوسط شمالا إلى صحراء الجزائر جنوبا وعرضا من جبال سعيدة ووادي مينه شرقا إلى وادي ملوية ومدينة وجده غربا[2].

2 – السودان الغربي الحدود والمجال :

إن العرب أول من أطلق كلمة السودان[3] على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى فسموا بلادهم ببلاد السودان التي تقع ما بين خطي العرض 4°-16° شمال خط الاستواء في الجنوب و خط الطول 13°-17° غرب خط غرينتش يحدها من الشمال الصحراء الإفريقية الكبرى ومن الشرق الكاميرون وبحيرة تشاد ومن الجنوب خليج غينيا ومن الغرب المحيط الأطلسي[4] .

ويظهر مصطلح السودان عند الإدريسي (ت 560 هـ) مصطلحا جغرافيا يبدأ حده من الغرب واصفا ذلك بهذا النص : " أن السودان مبدؤه من جهة المغرب من البحر الغربي المسمى بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) وهو البحر الذي لا يعلم ما خلفه .. و هذا الجزء الذي رسمناه من مدن أوليل [5] وسلى[6] وتكرور[7] وبريس وموره وهذه البلاد من أرض مقزارة السودان ... "[8]

---

[1] عبد العزيز فيلالي ،مرجع سابق ، ص ،ص 11 ، 12 .

[2] أحمد المختار العبادي ، مرجع سابق ، ص 198

[3] **لغة** : قبل الحديث عن السودان يجب أن نضبط مصطلح السودان من الناحية اللغوية فقد جاء على لسان العرب : سود : السواد نقيض البياض ، سود وساد وأسود اسودادا وهو أسود والجمع سود وسودان انظر ابن منظور ، مصدر سابق ، ص 229 .

[4] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ، المسلمون في غرب افريقيا (تاريخ وحضارة) ،ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 2007 ، ص 19.

[5] **جزيره اوليل** : وهي في البحر على مقربه من الساحل وبها الملاحة مشهورة ولا يعلم في بلاد السودان غيرها ومنها يحمل الملح الى جميع بلاد السودان ن انظر الادريسي ،نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،ط1 ،مج1 مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ،2002 ، ص 17.

[6] **مدينه سلى** : على ضفة النيل و بشماله وهي مدينة حاضرة وبها مجتمع السودان ومتاجر صالحة واهلها اهل بأس ونجدة ، وطعامهم الذرة والسمك والالبان وانظر الادريسي، المصدر السابق، ص 18.

[7] **مدينه تكرور**: وهي في جنوب النيل وبينهم وبين سلى مقدار يومين في النيل وفي البر ومدينة تكرور اكبر من مدينة سلى واكثرها تجارة واليها يسافر اهل المغرب الاقصى بالصوف والنحاس والخرز ، ويخرجون منها بالتبر والخدم ، وطعامهم الذرة والسمك والالبان ،انظر، الادريسي مصدر سابق ، ص 18

ويذهب ابن خلدون (ت 808 هـ) إلى أن " هذه الأمم السودان من الأدميين هم أهل الإقليم الثاني وما وراءه إلى آخر الأول بل وإلى آخر المعمورة متصلون ما بين المشرق والمغرب ويجاورون بلاد البربر بالمغرب وإفريقية وبلاد اليمن والحجاز على الوسط

والبصرة وما ورائها من بلاد الهند بالمشرق وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم الزنج والحبشة [1] و النوبه[2] "

وقال ابن خرداذبة (ت 280 هـ) : " ... أن السودان مسيرة سبع سنين فأرض مصر جزء واحد من ستين جزءا من أرض السودان ، وأرض السودان جزء واحد من ستين جزءا من الأرض كلها .... "[3]

فمفهوم السودان بهذا الشكل العام والشامل يعني جنوب الصحراء الكبرى وعندما استخدم

الجغرافيون العرب والمشارقة هذا المصطلح ولم يكن له هذا المعنى فقد سموا الأجزاء الشرقية من السودان بأسمائها السياسية المعروفة البجة وبلاد النوبة ومملكة الحبشة ومملكة الزنج[4]

وعليه يمكن القول أن السودان في الواقع تسمية عامة لذلك اصطلح على تقسيمه إلى ثلاثة أقسام :

-السودان الشرقي : ويشمل مناطق النيل وروافده .

-السودان الأوسط : ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد .

-السودان الغربي : يشمل كل ما عدا ذلك غربا الى المحيط الأطلسي مثل النيجر وفولتا العليا و غمبيا وحوض السنغال [5].

يتكون معظم سكان السودان الغربي من أربع قوميات كبرى وهي الماندي وسوذرهاي و الهوسا وشعوب إفريقية أما الرابعة فتشكلت من الشعوب القادمة من المنطقة مثل الفوالا . أما القزويني (ت 682 هـ)

---

[8] نفسه، ص 17 .

[1] عبد الرحمان خلدون ، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر) ،د ط ،ج7، دار الفكر بيروت لبنان عبد الرحمان خلدون ، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر) ،د ط ،ج7، دار الفكر بيروت لبنان ، ص 264

[2] **النوبة** :هي في غرب النيل على ضفته وشرب اهلها منه ، واهلها السودان لكنهم احسن السودان وجوها واجملهم شكلا ، وطعامهم الشعير والذرة والتمر، ومدنها اشبه بالقرى والضياع من المدن ، و وتكثر عندهم اللحوم والالبان والسمك ، انظر القلقشندي ، ص ،ص 275 ، 276.

[3] أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، د ط ، مطبعة بريل ليدن ، (د م ن) 1889 ، ص 93 .

[4] نبيلة حسن محمد في تاريخ إفريقية الإسلامية (انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي من القرن (5 – 9 هـ)، د ط ، دار المعرفة الجامعية مصر، 2007، ص 17.

[5] ابراهيم بحاز ،الدولة الرستمية (160-296 هـ/777-909 م) ،ط2 ، نشر جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ،1993 ، ص 115 .

فحدد لنا بلاد السودان بأنها أرض واسعة يحدها من الشمال بلاد البربر ومن الشمال البراري ومن الشرق أرض الحبشى ومن الغرب البحر المحيط (المحيط الأطلسي) ويمتاز مناخه بالحرارة الشديدة [1] .

ووصف الادريسي (ت 560 هـ) بلاد السودان أراضي صحراوية قليلة السكان والمياه قليلة لا توجد إلا جبال أو سبخات .

فيقول : " وأكثر هذه الارضين صحار غير عامرة وجهات وحشة وجبال حرش جرد لا نبات فيها والماء بها قليل جدا لا يوجد إلا في أصل جبل أو في ما إطمأن من سبخاتها [2].

من خلال ما ذكره المؤرخون والجغرافيون المسلمون نلاحظ أنهم لم يحددوا لنا الموقع الجغرافي لبلاد السودان الغربي بدقة وإنما ذكروا لنا موقع السودان ككل لأن تقسيم بلاد السودان إلى قسم غربي وأوسط وشرقي إنما جاء بعد الإحتلال الاوروبي للمنطقة وذكر لنا حسن الوازن أهم ممالك بلاد السودان الغربي الواقعة على نهر النيجر ابتداء من الشرق إلى الغرب وهي ولاته ، جني ، مالي تمبكتو ، كوكوا ، كوبير ، أغدس ، كانو ، كلا، تسينة ، زكزك زنفزة ، نكرة ، بورنو ، كاوكا ، نوبة وكان على كل مملكة من الممالك المذكورة ملك مستقل[3] .

ويمكن القول أن بلاد السودان الغربي تطل غربا وجنوبا على المحيط الأطلسي وتحدها الصحراء الكبرى شمالا ومن الشرق تناجم بحيرة التشاد وباختصار تشمل المنطقة التي تعرف اليوم بحوض السنيغال و غامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط[4] .

الجذور التاريخية للعلاقات المتبادلة بين المغرب الأوسط والسودان الغربي :

شهدت الضفتان الشمالية والجنوبية للصحراء الكبرى تواصلا حضاريا عبر عصور طويلة شمل العديد من المجالات ساهم بشكل كبير في نقل مختلف المؤثرات الفكرية والاجتماعية عبر الصحراء الكبرى .

وترجع هذه الصلات إلى ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ،حيث تشير بعض المصادر الى رحلات حدثت عبر الصحراء الكبرى من الشمال الى الجنوب [5] وعلى الرغم من أن طابع وحجم الاتصالات التجارية قبل الإسلام يمثل اشكالية إلا أن وجود الاتصالات التجارية المتنوعة عبر الصحراء الكبرى وهو

---

[1] القزويني زكريا بن محمد بن محمود ،آثار البلاد وأخبار العباد ، د ط ، دار صادر، بيروت ، (د س ن)، ص 34

[2] الإدريسي ، مصدر سابق ، ص 109.

[3] حسن بن محمد الوازن ، وصف إفريقيا ، تر: محمد حجي ومحمد الاخضر،ط2 ، ج2، دار الغرب الاسلامي ، ،بيروت ،لبنان، 1983، ص 33.

[4] الهادي المبروك الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، د ط ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر ، 1999 ، ص 19 .

[5] فيج جي دي ،تاريخ افريقيا الغربية ، د ط ، تر: السيد يوسف نصر ، دار المعارف ، مصر ، 1982 ، ص 43 .

مثبت من خلال سلسلة من النقوش الصخرية تظهر بها عربات تجرها الخيول وتتبع هذه النقوش طريق يبدأ من وادي درعة مرورا بإدرار في موريتانيا الحالية لتنتهي في الدلتا لنهر النيجر ،كما نجد طريقا آخر نشير إليه النقوش الصخرية يعبر عن الصحراء الكبرى من جنوب تونس وخليج سرت ويمر بجبال الأحجار – في الجزائر حاليا – ليصل إلى نهر النيجر نحو مدينة جاو التي تعد أقدم حواضر السودان .

بدأت العلاقات بين غرب افريقيا وشمالها منذ ألف عام قبل الميلاد عندما كان عبور الصحراء يتم بواسطة عربات تجر الخيول غير أن هذه العلاقات غلب عليها الطابع التجاري ثم تطورت على يد القرطاجيين منذ قرابة خمس قرون قبل الميلاد وأعطاها الرومان قوة دافعة بعد ذلك بثلاثة قرون [1] ،حيث كانت هناك تعاملات تجارية بين الطرفين تمثلت في تصدير الحجارة الكريمة الغير معروفة والتي كانت تسمى الذهب وشملت ايضا استيراد العبيد

من المعروف بلاد المغرب ترتبط بصلة وثيقة ببلاد السودان الغربي من الناحية الجغرافية .

أشار أحد رحالة القرن الرابع هـ في حديثه عن بلاد السودان بقوله : " ليس لها اتصال بشيء من الممالك الا من جهة المغرب لصعوبة المسالك بينهما وبين سائر الأمم" مما ترتب عليه امتزاج الدماء منذ أقدم العصور ، وكانت واحات الصحراء همزة الوصل بين المغرب والسودان وتعود جذور تلك العلاقة إلى ما قبل العصر الفينيقي والقرطاجي ، وكان عامل استخدام هؤلاء في الخدمات الخاصة كالحراسة والفلاحة وهو أساس جلبهم بكل الوسائل إلى بلاد المغرب ،كما استمر هذا الامر في العصر الروماني ، وقام سكان الصحراء المنتشرون في المدن و الواحات وبدور كبير في ربط بلاد المغرب ببلاد السودان سواء عن طريق التجارة أو تسهيل حركه مرور التجار، وغيرهم بالمنطقة الصحراوية [2].

بدخول الإسلام إلى القارة الإفريقية من الجهتين وكان لكل جهة حينها مسارها وتكوينها وعمقها : شرق إفريقية وغرب إفريقيا أما شرقها فمرجعه إلى اتصال الموانئ الإفريقية بالجزيرة العربية ويمكن القول بأن الإسلام قد دخل إثيوبيا قبل أي بلد إفريقي .

[1] ج ، هوبكنز التاريخ الاقتصادي لافريقيا الغربية ، تر : أحمد فؤاد بلبع تقديم محمد عبد الغني سعودي، د ط ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، 1998 ، ص 158 .

[2] عبد الحميد حسين حموده ، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي منذ الفتح الاسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية ، ط1 ، دار الثقافة للنشر، القاهرة ،مصر، 2008 ، ص ،ص 20 ، 21.

أما منطقة غرب إفريقيا فقد انتشر الإسلام فيها عن طريق قبائل البربر المغربية التي اعتنقت الإسلام ، وعن طريق غرب السودان حيث يوجد خط القوافل التجارية المسافرة إلى غرب إفريقيا ومن المغرب انتشر الإسلام في السينغال وممالك غرب افريقيا [1] .

وتناولت بعض المصادر التاريخية والجغرافية بالأخص الدور الريادي والمهم لبعض حواضر المغرب الأوسط خاصة الجنوبية في توثيق الصلات مع حواضر ممالك السودان الغربي فأدى ذلك إلى قيام الدول الكبرى التي لعبت أدوارا حضارية مختلفة فضلا عن الدويلات الصغيرة التي أقامها الدعاة والمجاهدون [2] .

[1] محمد علي رجب ،انتشار الاسلام في افريقيا، ط1 ، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية ،2015 ،ص، ص 125، 126

[2] بدري محمد فهد ، الصلات بين المغرب وإفريقيا (الثقافية والسياسية و الإقتصادية والاجتماعية)، د ط ، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن ، 2016 ، ص 28 .

الفصل الأول :الطرق والمسالك الرابطة بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

تمهيد :

أولا : الطرق والمسالك الداخلية بالمغرب الأوسط

ثانيا : أهم الطرق الرابطة بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

خلاصة الفصل :

تمهيد :

نظرا للحركة التجارية المزدهرة التي انتظمت بين بلاد السودان الغربي وبين شمال الصحراء الكبرى أقيمت العديد من المدن التجارية على جانبي الصحراء الكبرى وبالذات في المناطق التي كانت تمر بها طرق القوافل التجارية الرئيسية العابرة للصحراء وقد كانت هذه المدن بمثابة مراكز استقرار للتجهز للذين يقومون بنقل وتوزيع المنتجات المتداولة بين المغرب الأوسط. والسودان الغربي .

لمدن المغرب الأوسط أهمية عظيمة بفضل تموقعها الاستراتيجي الذي يتوسط المغربين الأدنى والأقصى فهو يشكل محطة توقف وعبور لمختلف القوافل سواء تجارية أو دينية أو اقتصادية ، فكان لبعض حواضر المغرب الأوسط دور ريادي خاصة الجنوبية منها في توثيق العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية مع ممالك السودان عموما والغربي خصوصا ، وفيما يلي سنذكر أهم الطرق التجارية التي اشتهرت بين حواضر المغرب الأوسط والحواضر الصحراوية .

1-الطرق الداخلية للمغرب الاوسط :

ويعتبر الطريق أو المسلك [1] البري الأكثر أهمية بالنسبة لنقل الأشخاص والسلع والبضائع وكذا تنقل الحيوانات وتختلف هذه الطرق والمسالك من حيث الجودة فبعضها صخري تتخلله الحجارة والرمال والآخر به منعرجات ومنحدرات تتخلله وديان وهذه الطرق عدد كبير منها كان غير معبد حيث يصبح السير فيه أثناء مواسم المطر عسيرا لأنها تتحول إلى سميكة وفي فترات الحرارة تصبح طبقات جامدة ومشققه [2].

وللولوج و التنقل في هذه الطرق يستوجب مرشدا ملما بخبايا هذه الطرق ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنها ، سنتطرق في هذه الدراسة لأهم الطرق :

1 – طريق تيهرت [3] الى المسيلة : من المسيلة يصل المسافر الى مكان يسمى الجوزا فيه ماء لا سكان فيه مرحلة ، ومنها الى هاز وهي قرية كانت قديما مدينة عظيمة فخربت ، وكان في عهد ابن حوقل مفازة كثيرة الرمل بها مياه محبوسة ، ومن هاز الى جرتيل[4] مرحلة ، والخارج من جرتيل ماما بعد مرحلة ،وهذه الاخيرة لها منبر وسور وخندق به ماء ، وبعد قطع مرحلة يصل المسافر الى إحدى المدن الكبرى الهامة بالمغرب الاوسط وهي مدينة تيهرت [5] ويقدر ابن حوقل المسافة التي تصل تيهرت بالمسيلة فيقدرها بستة أيام [6] .

---

[1] **مفهوم المسلك** : بفتح الميم وسكون السين وجمعها مسالك وهو الطريق ومنه مسالك المياه تعني طرقها ومجاريها وفي القرآن الكريم " ألم ترى أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض "الزمر 21 ، ومن هنا نستشف أن المسلك هو الطريق ، انظر محمد عمارة ،قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الاسلامية ، ط1 ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، 1993 ، ص 536.

[2] عبد الحميد بوسماحة ،رحلة بني هلال إلى المغرب وخصائصها التاريخية و الإجتماعية ، د ط ، ج1 ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2008، ص – ص 209- 211.

[3] **تيهرت** : هي مدينة عظيمة بناها عبد الرحمان بن رستم في موضع مربع لذا سميت تاقدمت وتفسيرها الدف وقد تقدم انها ارض لقوم وهم بعض صنهاجة ومداسة فإتفق معهم على أخذ الخراج من الاسواق ويترك الناس يبنون ففعلوا فكانوا يأخذون ما عليه من الإتفاق ، أنظر أحمد بن سعيد الشماخي ، السير ، د ط ، ج1 ، تح أحمد بن سعود السيابي ، دار النهضة ، مسقط ، عمان، 1987 ، ص 130.

[4] **جرتيل** : قرية كبيرة كثيرة الزرع وافرة المحاصيل تسقى من عيون ، انظر صالح بن قربة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، ط خ ،الجزائر ، 2007 ، ص 216 .

[5] نفسه ، ص 216

[6] ابراهيم بحاز ،مرجع سابق ، ص 215.

2 – طريق تيهرت الى تلمسان : يقول المقدسي " من تيهرت الى أفكان ثلاثة أيام ومنها الى تلمسان مرحلتين "ويذكر بن حوقل فيقول" من تيهرت الى أفكان ومنها وادي الصفاصف ثم قرية عيون سي ومنها الى تاناوت ومنها الى قرية العلويين ثم الى تلمسان " [1].

3 – طريق تنس الى المسيلة [2]: من بلاد بني حماد بالمغرب الأوسط تخرج من مدينة تنس الى بني وازلفن [3] مرحلة ومنها الى مدينة الخضراء مرحلة وهي مدينه صغيرة خصبة على نهر صغير ومن مدينة الخضراء الى مدينة مليانة [4] مرحلة ومنها الى كزناية مرحلة حصن أزلي له مزارع وأسواق وهو على نهر شلف وله سوق يوم الجمعة يقصده بشر كثير، ومن سوق كزناية الى قرية ريغة مرحلة ولهذه القرية أرض متسعة و حروث ممتدة وفواكه وبساتين ، ومنها الى ماورغة مرحلة ومنها الى آشير زيري مرحلتان وهو حصن حسن البقعة كثير المنافع ثم الى تامزكيدة مرحلة ثم الى المسيلة مرحلتان [5]

4 – طريق تلمسان الى المسيلة: من تلمسان الى تيهرت أربعة مراحل وبين مدينة تيهرت والبحر أربعه مراحل ومنها الى اعبر مرحله ومنها الى دارست[6] مرحله ومنها الى ماما[7] مرحلتان ومنها الى اشير ومنها الى قرية هان مرحلة ومنها الى المسيلة مرحلة [8].

---

[1] أبي القاسم بن حوقل، صورة الارض ، د ط ،دار مكتبة الحياة ،بيروت ،لبنان 1996، ص 68 .

[2] **المسيلة** : هي احدى مدن الزاب احدثها اسماعيل بن عبد الله الشيعي منذ 313 هـ-925 هي مدينه تكثر بها البساتين واشجار النخيل انظر مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار تع : سعد زغلول عبد الحميد ، د ط ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1985، ص ، ص 171 ، 172.

[3] **وازلافن** : هي قرية كبيرة لها كروم وجنات ذوات سوان يزرعون عليها الحناء والكمون و الشهدانج ولها كروم كثيرة، أنظر ، الادريسي ،مصدر سابق ، ص 253.

[4] **مليانة** : هي مدينه قديمة البناء حسنة البقعة كريمة المزارع لها نهر يسقي أكثر حدائقها ، انظر الادريسي المصدر سابق ص 253.

[5] نفسه ، ص ص253 – 254.

[6] **دارست** : هي قرية صغيرة جدا و زراعاتها كثيرة ومواشيها عامة، الادريسي ،مصدر سابق ، ص 256.

[7] **ماما** : مدينة صغيرة لها سور من تراب واكثره طوب ولها بما استدار بسورها خندق محفور ولها واد عذب عليه مزارع وغلات ، انظر الادريسي ، مصدر سابق، ص 256.

[8] نفسه، ص 256.

5 – الطريق بجاية[1] الى القلعة : يخرج من بجاية الى سوق الأحد ثم إلى وادي رهط إلى حصن تاكلات ومنها الى تادرفت إلى سوق الخميس ، كما يمر هذا الطريق على عدة حصون كحصن الحديث والشعراء حتى يصل إلى القلعة [2].

6 – الطريق تلمسان إلى معسكر : من تلمسان الى تاتانلوت مرحلة ومنها الى عيون سي

7 – طريق تلمسان الى توات[3] : يقطع الهضاب الاستبسية عبر مرتفعات جنوب تلمسان وحوض وادي مفرش الى ممر جبل تربي عند سفح جبل الناظور فحوض تافنا في اتجاه سبدو ومن هنا ينقسم إلى:

* **الفرع الأول** : يشق النعامة وتوات ومغراوة المزدوجة وغوبرات وأولاد سيدي عيسى ثم توات ويقطع هذا المسلك في مدة عشرين يوما .

* **الفرع الثاني** : يتجه إلى سبدو جنوب تلمسان ويعبر عسلة و بن سمعون إلى تيميمون في تسعة عشر يوما.

* **الفرع الثالث** : يمر عبر منطقة أولاد سيدي الشيخ إلى مسلك القوافل التي تنطلق من جبال قصور وجبال عمور فتمضي عشرين يوما لتصل الى تيميمون[4] .

8 – طريق تيهرت ورجلان : يعتبر هذا الطريق من الطرق المستعملة منذ وقت مبكر اذ يرجع إلى عهد الدولة الرستمية وربما قبلها ثمة مصادر تذكر أن الإمام الرستمي افلح ابن عبد الوهاب [5] 190 – 240 هـ قد سلك هذا الطريق باتجاه رحلته الى بلاد السودان، وهذا ما يدل على وجود طريق مباشر

---

[1] **بجايه**: قاعدة الغرب الاوسط ، مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها ، وهي على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى امسيول وهو جبل سام صعب المرتقى، وفي اكنافه جمل من النباتات المنتفع بها في صناعة الطب مثل : البرباريس وهي عين بلاد بني حماد ، والسفر اليها برا وبحرا والسلع ا اليها مجلوبة ، و اهلها تجارا ما يسير ،أنظر محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح ، إحسان عباس ، ط 1،(د د ن) ، 1975 ، (د م ن) ، ص 81.

[2] رحاب محمد كمال، محمد احمد المغرب، التجارة في عهد بني حماد(408 547 هـ /1017 – 1152)،كليه اداب ، قسم تاريخ ، جامعة ، دمياط ، مصر ، ص231 .

[3] **توات** : تقع الى الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية التي هي جزء من الصحراء الكبرى الافريقة، وتبعد عن الجزائر العاصمة حوالي الف وخمسمائة كلم ، وهي تعتبر مركز من مراكز تجاريه الهامه ، فموقعها كواحة وسط الصحراء جعلها تزود التجار بما يلزمهم من غذاء وماء ويقوم التجارفيها بعرض بضاعتهم ، وبها قصور تناهز المئتين ، انظر، الهادي المبروك الدالي ، مرجع سابق ،ص – ص 300-301 .

[4] مشرف لخضر ، الاهمية الاستراتيجية للمغرب الاوسط في العهد الزياني ، مذكرة لنيل شهاده ماستر،، إشراف: قراوي نادية، كليه العلوم الانسانيه والعلوم الاجتماعية ، قسم العلوم الانسانية ،جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة ، الجزائر، 2014 – 2015 ، ص 13 منشوره .

[5] **افلح بن عبد الوهاب**: هو الامام افلح ابن عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم ثالث الائمه الرستميين، بويع في اليوم الذي توفي فيه والده تولى الامامه سنه 208- 258 هـ ، انظر بحاز واخرون ،معجم الاعلام الاباضيه، د ط ، ج1 ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ، (د س ن) ، ص 62 .

بين تيهرت ورجلان[1] كما أن هذا الطريق يمر بواحة اريغ [2] التي قال عنها الادريسي أرض متسعة تكثر فيها البساتين ، وتعقد بها سوق كبير كل يوم جمعه وتعتبر اريغ محطه رئيسيه للممالك بين تيهرت و ورجلان نظرا لتوسطها المسافة بين المدينتين [3] .

9 – طريق ورجلان الى المسيلة : حدد الادريسي مسافتها بمسيرة اثنا عشر يوما ويشير البكري إلى أن و ورجلان كانت لها طريق تربطها بقلعة بني حماد [4] ، وبين ورجلان وقلعة أبي طويل مسيرة ثلاثة عشر يوما ويمتد هذا الطريق الى المسيلة القريبة من القلعة وقد يكون هذا الطريق في فترات قد تأثر بصراعات سياسية وأعمال النهب التي قام بها قبائل بنو هلال [5] .

10 – طريق طبنة [6] إلى بسكرة :من طبنة إلى مدينة نقاوس مرحلتان و منها لحصن بسكرة [7] مرحلتان [8].

11 – طريق بجاية إلى سطيف : من مدينه بجاية إلى جهة الجنوب من حصن سطيف بينهما مرحلتان

12– طريق وهران إلى تلمسان : بين تلمسان ووهران مرحلتان[9] .

13– طريق قسنطينة [10] إلى بجاية : من قسنطينة إلى بجاية ستة أيام وأربعة منها إلى جيجل وبين بجاية وجيجل خمسون ميلا.

---

[1] الشماخي ، مصدر سابق ، 29 .

[2] **اريغ (بنو ريغة)** : فكانوا احياء متعدده ، ولما افترق امر زناتة تحيز منها الى جبل عياض وما اليه من البسيط الى نقاوس واقاموا في قياطينهم ، فمن كان بجبل عياض منهم اهل مغارم لامراء عياض يقبضونها للدولة الغالبة ببجاية ، اما من كان ببسيط نقاوس فهم من اقطاع العرب لهذا ونزل ايضا كثير منهم ما بين قصور الزاب و وركلا (ورجلان) ، فاختطوا قصورا كثيرا في عدوة واد ينحدر من المغرب الى المشرق يشتمل على المصرالكبير والقريه المتوسطة، وقد رف عليها الشجر ونضدت حفافيه النخيل ، وانساحت ،خلالها المياه ، وزهت ينابيعها الصحراء ، وكثر قصورها العمران من ريغه هؤلاء وبهم تعرف لهذا العهد وهم اكثرهم ، انظر ، عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سابق ، ص64.

[3] الادريسي ، مصدر سابق ، ص 85.

[4] **القلعه (قلعة بني حماد)** : وهي مدينة من اكبر البلاد قطرا واكثرها خلقا واعزها خيرا واوسعها اموال واحسنها قصورا ومساكن واعمها فواكه حنطتها رخيصة ولحومها طيبه سمينة ، أنظر الادريسي، مصدر سابق ص 255.

[5] بوراس العربي ، بن يحي نصيرة ، الحياة السياسية و الاقتصادية لمدينة ورجلان من القرن الثاني الى السادس هـ، الثامن الى الثاني عشر م ، مذكره لنيل شهاده ماستر في تاريخ المغرب الاوسط ، اشراف : حاكمي الحبيب ،كليه العلوم الانسانية والاجتماعية ، ، قسم العلوم الانسانية ، جامعة ابن خلدون ، تيارت ،الجزائر ،2015/2014 ، ص 55 ،منشورة.

[6] **طبنة** : اعظم بلاد الزاب، وبينها وبين المسيلة مرحلتان ، وهي حسنة كثيرة المياه والبساتين و الزرع والقطن والحنطة و الشعير وعليها سور تراب وبها اخلاط من الناس و بها صنائع وتجارات و لأهلها تصرف من ضروب التجارات وتمر ، وسائر الفواكه بها كثيرة ، أنظر ، الحميري، مصدر سابق ، ص 387 ، ابو عبيد البكري ،المسالك والممالك (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب) ، د ط ، مكتبة المثنى ،الجزائر ،1857، ص 229.

[7] **بسكرة** : وهي مدينة عريقة في القدم ، اسست أيام كان الرومان يحكمون البربر ، وخرجت بعد ذلك ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الاسلامية الى افريقيا وداخلها آبار كثيرة عذبة وداخل المدينة جنان يدخل اليها الماء من النهر وهي تعرف ببسكرة النخيل ، أنظر البكري ، مصدر سابق ، ص ، ص 229 ، 230.

[8] الادريسي ، مصدر سابق ، ص 264 .

[9] البكري ، مصدر سابق ،ص 76 .

14 – طرق قسنطينة إلى باغاي :من قسنطينة إلى باغاي ثلاث مراحل[1] .

15– طريق اشير[2] إلى الجزائر بني مزغنى : عبر المدية ثم قزونة وهي مدينة على جبل كبير ومنها إلى مدينة أغزر ومنها إلى مدينة الجزائر بني مزغنى[3] .

16 – طريق تيهرت إلى وهران : يخرج هذا الطريق مرورا بمليانة ثم إلى تنس ويبعد مسافة ستة وثلاثون ميلا يتجه إلى قرية برشك ثم بعدها إلى وهران التي تبعد بثلاث مائة ميل[4] .

17– طريق من باغاي إلى المسيلة : من باغاي إلى دوفانة بالقرب من جبل الأوراس مرحله ، ومنها إلى دار ملول التي كانت مدينة قديمة وفيها مرصد قديم بها مرحلة ، ومنها إلى طبنة مرحلة ثم إلى مقبرة أيضا ومنها إلى المسيلة [5].

2–أهم الطرق الرابطة بين المغرب الأوسط إلى السودان الغربي:

ارتبطت تجارة المغرب الأوسط بالسودان الغربي بمجموعة من المسالك الصحراوية حيث كانت هذه المسالك متذبذبة سواء من حيث خط مسار وجهتها أو المحطات التي تمر بها وقد ارتبط هذا بجغرافية وطقس الطريق وبالتحولات السياسية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي عموما لكن أهم عامل هو تأثرها بالأسواق التي تعد من العناصر االجاذبة لقوافل التجار وكان لهذه المسالك دور في ربط العلاقات بين شمال وجنوب المفاوز" المغرب الأوسط والسودان الغربي ".

1 – طريق تيهرت إلى ورجلان[6] ، تاد مكة ، كوكو : هو مسلك غير معروف المراحل التي يمر بها لكن يستبعد أن يمر بواد ريغ الذي اكتسب أهمية بسبب موقعه الوسطي بين تيهرت ورجلان إذ لا يمكن أن

---

[10] **قسنطينة** : هي مدينه عاملة ، وبها اسواق وتجار واهلها مياسير ذوو اموال واحوال واسعة وهي على قطعة جبل مربع فيه بعض الاستدارة... و يحيط بها وادي من جميع جهاتها كالعقد مستديرا بها ، و للمدينة بابان ، باب ميلة في الغرب وباب القنطرة في الشرق، وهذه القنطرة من اعجب البناءات لان علوها يشف على 100 ذره وهي من بناء الروم ، وهي من احسن بلاد الله ، انظر، الادريسي ، مصدر سابق ، ص 266.أنظر الحميري، مصدر سابق ، ص 481.

[1] الادريسي، مصدر سابق ،ص ، ص 266، 267.

[2] **آشير** : بلدة او حصن بينهما وبين المسيلة مرحلة ، وبلاد الزاب بناها زير بن مناد الصنهاجي ، وتعرف بآشير زيري وكانت مدينة قديمة فيها اثار عجيبة و إنما بنى زيري سورها وحصنها وعمرها فليس في تلك الاقطار احصن منها وهي بين جبال شاهقة محيط بها ، أنظر،الحميري، مصدر سابق ، ص 60.

[3] الادريسي ، مصدر سابق ، ص 65 .

[4] بوراس العربي و بن يحي نصيرة ، مرجع سابق ،ص 55.

[5] ابن حوقل ،مصدر سابق ، ص 85.

[6] **ورجلان** : او ركلة او ورقلان ، مدينة بها اشجار النخيل وبها القرى والقصور ، سكانها اغنياء جدا، ومنهم عدد كبير من التجار القادمين من تونس وقسنطينة محملين بمنتجاتهم واللحمة والمواد النادرة عندهم ، واهلها ظرفاء يستقبلون الغرباء احسن استقبال لانهم يزودونهم بمختلف المواد والسكاكين و الاسلحة ، انظر حسن الوزن ، مصدر سابق ، ص 41.

تمر قوافل للصحراء دون المرور عبره ، إنه مسلك طويل وشاق ، فكان أهل تيهرت يجتازون هذا المسلك من ومنها إلى ورجلان للوصول الى تادمكة [1] ومنها إلى كَوكَو [2].

تعتبر ورجلان أهم مسلك للتوجه إلى بلاد السودان ثم تادمكة ومنها إلى كوكو فيذكر لنا صاحب كتاب الاستبصار أن الطريق الصحراوي بين تادمكة ، وورجلان على نحو خمسين يوما [3] .

2 – طريق تيهرت إلى سجلماسة اودغست ،غانا : ينطلق هذا المسلك من تيهرت الى سجلماسة أولى مراحله ، حيث يستغرق المسير فيه عشرة أيام وتعتبر مدينة اوزكا مرحلة متوسطة بين العاصمتين المغربيتين و تعتبر سجلماسة [4] .

نقطه انطلاق حقيقية لعدد كبير من القوافل إلى بلاد السودان [5].

وعندما تغادر القافلة التجارية سجلماسة ، نحو الجنوب ، تتوغل في الصحراء مقدار خمسين يوما لتصل إلى قوم يقال لهم انبية وهم بربر من قبيلة الملثمين[6] وبعد اجتياز بلاد انبية تصل إلى بلد يقال له " غط " وهو عامر فيه منازل وغط يتحدث عنها اليعقوبي في القرن الثالث هجري هي اودغست عند الجغرافيين الآخرين وقد لعبت اودغست دور المركز التجاري الهام الذي يبعد مسيره خمسه عشر يوما عن مدينة غانا [7] وتقدر المسافة بين سجلماسة و اودغست مسيرة شهرين [8].

---

[1] **تادمكة** : هي اشبه البلاد بمكة ، ومن تاد يعني هيئة ، اذا انها على هيئة مكة وهي مدينة كبيره بين جبال وشعاب وهي احسن بناء من غانا وكوكو واهلها بربر مسلمون ، وهم منتقبون كما ينتقب اهل بربر الصحراء ، انظر، البكري ، مصدر سابق ، ص270.

[2] **كوكو** : " كوكو وجاو و كاغ ،كلها مسميات مختلفة لنفس المدينة " و مدينه كبيرة على النيل من احسن مدن السودان واكثرها واخصبها ، فيها الارز الكثير ، واللبن ، والدجاج ، والسمك تعامل اهلها بالبيع والشراء بالورع ، انظر البكري ، مصدر سابق ، ص 272 .

[3] اكرام محمودي ، التجارة ومسالكها في المغرب الاوسط من خلال الكتب الجغرافية التاريخية ما بين القرنين الثالث والخامس هـ(9 – 11 م) ، مذكره لنيل شهادة : ماستر في تخصص دراسات في تاريخ و حضارة لعصر الوسيط ، اشراف : موسى هيصام ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية ، جامعة يحي فارس المدية ، الجزائر ،2014 / 2015،ص, ص ، 27،28 منشورة .

[4] **سجلماسة** : هي امارة واسعة امتد نفوذها في حكم المدراريين الى الغرب حتى مناطق درعة ، واصبحت اكثر اتساعا في عهد المغراويين الذين بسطوا نفوذهم على مناطق قريبة من فاس واصبحت فيما بعد ولاية تابعه لمختلف الدول المغربية الكبيرة كالمرابطين و الموحدين ، وتسمى الان تافيلافيت ، انظر حسن حافظي العلوي ، سجلماسة واقاليمها، دط ، وزاره التربية والاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية، المغرب ، 1997 ، ص 23

[5] بحاز ابراهيم ، الدوله الرستمية ،مرجع سابق ، ص 188.

[6] **الملثمون** : هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يلتثمون بلثام ازرق ومنهم طوائف التوارق ولمثة ولمتونه والتوات .أنظر،عبد الحميد الجنيدي ،إقليم توات و أهميته في التجارة الصحراوية ، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية ، ع 5 ، 2018 ، جامعة بن خلدون تيارت ، الجزائر ، ص 37 . ولعلهم كانوا يضعون إتقاء العين لئاما يحجب أسفل وجوههم فسموا لذلك بالملثمين ، أنظر شارل أندري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، تر محمد المزالي و بشير بن سلامة ، ط 4 ، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1983 ، ص 104 .

[7] **غانا** : هي مدينتين سهليتين احداهما يسكنها المسلمون وهي كبيره فيها اثنا عشر مسجدا والاخرى مدينه الملك على بعد ستة اميال من الاولى وتسمى الغابة ، وبينهما عمارات متصله وهي كثيره الذهب ، أنظر ،البكري ،مصدر سابق ، ص 175 .

[8] بحاز ابراهيم ،الدولة الرستمية ، مرجع سابق ، ص– ص 112 –121 .

كانت لها علاقات كبيرة من خلال تعدد الطرق التجارية منها معاقل الرستميين بالصحراء كورجلان وصدراتة وميزاب لتصل الى تغازى اودغست و تاد مكة وفي ادرار و ايفوجة ، وراء جاو في بلاد سنغاي[1].

3– طريق ورجلان الى غانا – غيارو : يبدأ هذا الطريق من ورجلان إلى غانا "يذكر أبو زكريا أن المسافة بين ورجلان وغانة مسيرة ثلاثون يوما "، ومنها إلى غيارو حيث يواصل تجار ورجلان رحلتهم البرية حتى يصل إلى مدينه الذهب غيارو ويذكر البكري ان أفضل ذهب هو ذهب غيارو وهي تبعد عن عاصمة المملكة بمسيرة ثمانية عشر يوما في بلاد معمورة بقبائل السودان.

وبين مدينة غانا والنيل اثنا عشر ميلا وفيها المسلمون كثر ، أما الطريق من غانا إلى غيارو، فالى ، سامقندي أربعة أيام وبعدها ثلاثة أيام يصلون فيها إلى الوجهة وهي غيارو[2] .

4 – طريق وهران [3] ارزيو الى تمبكتو: يمر على خيثر ، ومشرية وعين صفراء و فقيق (فكيك).

ويتبع مجرى واد زوزفانة إلى ايجلي حيث يلتقي بطريق فاس[4] إلى تمبكتو .

ولهذا الطريق فرع آخر إلى الشرق الأول ، مستقيم يبدا من خيثر إلى البيض والأبيض سيدي الشيخ ، والمنقب وتوات حيث يلتقي بطرق وهران ، فاس ، مكناس إلى تمبكتو [5]

5 – طريق مدينه الجزائر إلى تمبكتو : يمر على البليدة ، و بوغار والاغواط وغرداية والقلايعية وعين صالح و اكابلي ، وبئر تيريشومين حيث يلتقي بطريق تواز إلى هذا الطريق فرع آخر من عين صالح إلى بئر عسيو و تنتيلوست حيث يتفرع إلى فرعين ، فرع إلى قادم ، وماو ، شرقه بحيرة تشاد وإلى اقدم وكوكا جنوبها ، وفرع الى الجنوب الغربي نحو اقاديس حيث يتفرع هو الآخر إلى فرعين فرع إلى سوكوتو وفرع إلى كاتسينا [6].

---

[1] الحسن الوازن ، مصدر سابق ، ص 136.

[2] البكري ، مصدر سابق ، ص – ص 175 – 177 .

[3] **وهران** : وهي مدينة ببلاد المغرب على ضفة البحر بينها وبين تلمسان مسيرة يوم ، بناها جماعة من التجار الاندلسيين ، فسكنوها مع قبائل البربر وهي مدينة كثيرة البساتين والثمار ، وتعرف اهلها بعظيم خلقهم ، أنظر ، مؤلف مجهول ، مصدر سابق ص 134.

[4] **فاس** : مدينة كبيرة مشهورة من بلاد بربر على بر المغرب بين ثنيتين عظيمتين ، والعمارة قد تصاعدت فيها حتى بلغت مستوى ، وتفجرت كلها عيون تسيل القرارة الى نهار منبسط الى ارض ينساب الى مروج خضر وداخل المدينة ستمائة رحى وهي اكثر بلدان المغرب خيرا ،انظر القزويني، مصدر سابق، ص 102 .

[5] **تمبكتو** : تقع شمال العاصمة باماكو ، وتبعد عنها بحوالي ثلاثمائة كلم على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى (نهر النيجر) والتي تبعد عنه مسافه ثلاثة عشر ميلا ، وقد تميزت موقعها الفريد على نهر النيجر، والذي ميزه عن غيرها من المدن ، انظر، الهادي المبروك الدالي ، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر، ط2،(د د ن) ، (د م ن)،2001 ، ص 99 .

[6] يحي بوعزيز ، تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين ، ط خ ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص41.

6- طريق توات إلى السودان الغربي : تعتبر توات همزة وصل بين الشمال الافريقي وجنوب الصحراء الكبرى" دول السودان الغربي " ومحطة للقوافل التجارية الآتية من الشمال ،وبحكم الموقع الاستراتيجي للإقليم كونه مركز عبور وسط الصحراء حيث كان لها دور ريادي عبر مختلف العصور في ربط السودان الغربي بمختلف المراكز الحضارية في الشمال ، وكان لسقوط غانا دور في تراجع الطريق التجاري الصحراوي الغربي الرابط بين مراكش وغانا ليحل محله طريق توات كأحد أهم الطرق التجارية ، وأصبحت غالبية قوافل التجارة وخاصة المنطلقة إلى جني و تمبكتو وبونو ، تسلك الطريق المؤدية إلى توات[1] ولقد ذكر ابن خلدون طرق تنطلق من توات إلى تمنطيط [2] او تسابيت و تيكورارين أو" تيقورارين " إلى بلاد السودان الغربي ويعد طريق توات إلى تغازى و تاوديني أهم شريان للحياة الاقتصادية بل هو أهم طريق تستقله القوافل إلى مكة المكرمة ، ويواصل مسيرته إلى أن يصل إلى سوق جاو، مرورا بولان وطريق آخر يخرج راسا من تمنطيط اين يلتقي مع الطريق السابق ولان. [3]

أما فيما يخص الجزء الثاني فهو يربط سجلماسة بغانا ، ويذكر البكري ثلاث محطات رئيسية تادملت ،ايزل ، واودغشت وتقدر المسافة بين سجلماسة و اودغست خمسين مرحلة أي مسيره شهرين ، ويذكر الادريسي أن المسافة بين ورجلان وغانا ثلاثون مرحلة

7- طريق ورجلان غانا : ويذكر الادريسي أن المسافة بين ورجلان وغانا ثلاثون مرحلة[4] بالإضافة إلى مسلك تادمكة ، وهناك مسلك ثاني يقع إلى الغرب منه ا لغانا والذي يتزامن في حركته التجارية مع المسلك الأول وقد وصف هذا الطريق بطريق الذهب لكونه ينتهي (نقارة) ويخرج هذا الطريق من ورجلان مرورا بسجلماسة هذا ما يعرف بالجزء الأول من هذا الطريق [5].

---

[1] عبد الحميد جنيدي ، مرجع سابق، ص 41 .

[2] **تمنطيط** : تقع جنوب قصر تيمي، وتبعد عنها بحوالي12 كلم وهي منخفض مواز لواد مسعود تبعد عنه حوالي 35 كلم ، وتضم 15 قصرا ومسمى تمنطيط بربري اعجم مركب من اسمين هما "أمّا" " و " تط " الاولى تعني الحاجب والثانية العين بمعنى " حاجب العين " وتعد من مدن توات المقدسة اجتمع فيها العلم و الامارة والرئاسة ، انظر سالمي زينب ، الحركة العلمية في اقليم توات خلال القرون 08-10 هـ ، مذكرة لنيل شهادة :ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي ، اشراف : بوداوية مبخوت ،كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم تاريخ وعلم الآثار، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان الجزائر2011/ 2012 ، ص 28، منشورة .

[3] دحمان مسعود، فرحان هجيرة، التجار المغاربة ودورهم في نشر الاسلام في منطقه السودان الغربي من 7-10 هـ/ 13-16 م ، المذكرة لنيل شهاده : ماستر في التاريخ تخصص افريقيا جنوب الصحراء ، اشراف بوتدارة سالم ، ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية ، قسم العلوم الانسانية ، جامعة أحمد دراية ، ادرار ، الجزائر ، 2020-2021، ،ص 15، منشورة .

[4] الادريسي ، مصدر سابق ص 32

[5] مسعود مزهودي ، الاباضية في المغرب الأوسط ، د ط ، المطبعة العربية ، القرارة ، الجزائر ، 1996 ، ص 151.

أما فيما يخص الجزء الثاني منه فهو يربط سجلماسة بغانا يذكر البكري ثلاث محطات رئيسيه وهي تادملت ، ايزل، اودغست ، وتقدر المسافة بين سجلماسة وادغست بخمسين مرحلة اي مسيرة شهرين، ويذكر الادريسي أن المسافة بين ورجلان وغانا ثلاثون يوما [1].

8 – طريق توقرت ورجلان جاو : يبدأ هذا الطريق من الموانئ الموجودة بالمدن الساحلية للمغرب الأوسط كموانئ جزر مزغنة و بجاية و سكيكدة وغيرها ليصل إلى توقرت ، ورجلان ومنها إلى جاو في بلاد صنغاي [2] .

9 – طريق تلمسان غرداية – توات – تمبكتو : من تلمسان ونواحيها تأتي القوافل التجارية وتجتمع في غرداية ومنه تنطلق القوافل إلى توات ومنها إلى تمبكتو مخترقة أراضي قبائل الطوارق ، وتمر القافلة بمنطقة المبروك و اروان ، وكان هذا الطريق هو أكثر الطرق أمانا ، ولذلك كانت القوافل تسلكه عند سيرها نحو تمبكتو مرورا بتاوديني ، وهذا االطريق من أقدم الطرق التي تسلكها القوافل التجارية [3].

لقد كان هناك طريق يتجه من تلمسان جنوبا عبر الصحراء إلى واحة توات ثم إلى مدينة تمبكتو ويتفرع بعد ذلك في الاتجاه الجنوبي الشرقي في سلطنة البرتو وكانم وإلى مالي غربا ، وقد لعبت التلمسان دورا كبيرا في ربط الطرق المتجهة إلى الجنوب عبر التوات إلى تمبكتو، حيث كانت مهمة التجار المقيمين بها استقبال السلع الأوروبية القادمة من جنوب أوروبا والمدن الإيطالية وتصدير هذه السلع إلى بلاد السودان لتسويقها هناك[4] .

[1] الادريسي، مرجع سابق، ص 32.

[2] عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الاوروبي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء ،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر ، (د س ن) ، ص 23.

[3] عبد الحميد جنيدي ، مرجع سابق ، ص ص 41 42 .

[4] عبد الفتاح الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العرب ، ط1، ج5 ، مكتبه مدبولي القاهرة ، مصر ، 1994، ص 169.

خلاصة :

لقد كانت لموقع المغرب الأوسط أهمية كبيرة وواضحة ، فقد كان يتمتع بطبيعة جغرافية ساعدته قي تكوين شبكة من الطرق و المسالك التي ساعدت في انتشار النشاط التجاري داخل المغرب الأوسط وخارجه ، ازدهرت هذه الطرق التجارية وتطورت فكان لها دورا هاما في ربط وإنشاء المدن و الحواضر والأسواق بالمغرب الأوسط والسودان الغربي .

وبما أن هده الـــطرق التجـــارية هي المحرك الرئيسي للتجـارة فقد اهتم بهـا الجغرافيون من حيث افراز مراحلها ومسافاتها .

- الفصل الثاني : العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي

تمهيد :

- ✓ العلاقات التجارية بين حواضر المغرب الأوسط والسودان الغربي .

– أهم المراكز التجارية في كل من المغرب الأوسط والسودان الغربي .

– السلع المتبادلة بين الإقليمين .

- صادرات
- واردات .

- ✓ العلاقات الفكرية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي .

- انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي .
- أساليب انتشار الإسلام في السودان الغربي .

خلاصة الفصل :

تمهيد :

جمعت تلمسان في العهد الزياني بين الصحراء والبر والبحر وهذا الموقع الجغرافي سمح لها أن تقوم بدور الوسيط مع السودان الغربي من جهة والمشرق العربي و أوربا من جهة أخرى فهي ملتقى للسلع الوافدة من الشمال والشرق وكانت تلمسان وأقاليمها من أهم المدن المغاربية التي استقطبت وفود من المهاجرين فمنهم التجار والعلماء والفقهاء

وتميزت فترة الحكم الزياني بنشاط تجاري مكثف حيث جابت السلع التلمسانية ما وراء الصحراء الكبرى وعادوا بالسلع من السودان الغربي كالذهب والعاج ....

كما ساعدت هذه الطرق في تنشيط الحركة التجارية التي بدورها ساعدت في اثراء و تنشيط الحركة الثقافية والعلمية ، سنذكر أهم المراكز التجارية والثقافية في كلا الضفتين وأهم السلع المتبادلة .

1-العلاقات التجارية بين حواضر المغرب الأوسط والسودان الغربي :

كانت تلمسان مركز الدولة الزيانية التي يربطها الطريق الصحراوي وينتهي إليها ، ومن هنا تأتيها تجارة السودان من عاج ورقيق وذهب ، يتبادلها التجار مع صوف تلمسان وسلاحها ومخطوطاتها وإنها كانت محطة للتجارة الأوروبية مع إفريقيا السوداء [1]

لم تخفى على حكام تلمسان أهمية التبادل التجاري منذ وقت مبكر لاعتقادهم أن ثروة الدولة تكمن في امتلاك أكبر كمية من الذهب وهذا هو التفكير الذي كان سائدا في العصر الوسيط ، وهذا ما يفسر محاولة الأمير يغمراسن (633 -681 هـ/1235 - 1283 م) الاستيلاء على سجلماسة ، محطة القوافل في طريق جنوب الصحراء ودخوله في صراع مع المرينيين من أجل السيطرة عليها ، و كان أبو حمو موسى الأول (707-718 هـ/1318 م) يدرك أيضا أهمية التجارة مع بلاد السودان كما يُظهر من قوله " لولا الشناعة لم أنزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر له تبع ومن سواهم يحمل الذهب ومنه ما يغير العوائد ويجر السفهاء إلى المفاسد " وقد كون الإخوة آل مقري الخمسة شركة تجارية وتعاملوا مباشرة مع ملوك مالي الذين كانوا يحسنون استقبالهم ويشجعونهم على ممارسة التجارة في بلادهم فتبادلوا الرسائل مع منسى موسى وكان يطلب منهم تزويده بما يحتاجه من بضائع ، وهذا معناه أن الإخوة المقري كانوا همزة وصل بين سلاطين تلمسان وملوك السودان في المجال التجاري ، وإلى جانب عائلة المقري اشتهرت عائلة أخرى بالتجارة مع بلاد السودان مثل عائلة العقابي و عائلة المرازقة فكانت لهم علاقات حسنة بالسودان الغربي [2]

عرفت التجارة بين بلاد المغرب وافريقيا جنوب الصحراء ازدهارا، بعدما تيسرت الطرق و أنشأت المحطات وظهرت تجارة المسافات ، ، فكان تجار بلاد المغرب عموما وتجار المغرب الأوسط بصفة خاصة أثناء تواجدهم بالمدن التجارية لبلاد السودان يحتكون بسكانها و يؤثرون فيهم بسلوكهم وأمانتهم وأخلاقهم الإسلامية ، وكثيرا ما انتهى هذا الاحتكاك إلى دخول كثير من هؤلاء السكان في الإسلام ، فهؤلاء التجار كانوا يجمعون بين التجارة والعلم فإذا استقر بهم المقام انشؤوا حلقات للذكر و الدراسة

فالتجارة إذا لم تكن مجرد لقاء يقوم على المنفعة المادية والربح بل كان فرصه لتبادل الأفكار، تتخللها مناقشات وأسئلة استغلها التجار المسلمون في التعريف بمبادئ الاسلام ، بالتالي دخول الاسلام

[1] عبد الفتاح الغنيمي ، مرجع سابق ، ص 168 .

[2] لطيفة بشارى ، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بنو عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13 – 16 م) منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان ، الجزائر ، 2011 ، ص ، ص 119 ، 220 .

الى جنوب الصحراء يعود بالدرجة الأولى إلى هؤلاء التجار ، وهو ما أدى الى ربط انتشار الإسلام بالتجارة واعتبارها السبب الرئيسي لدخول عدد

كبير من شعوب هذا الجزء من القارة في الإسلام .

لم يختصر دور التجار على تبادل السلع ونشر الإسلام فقط ، بل ساهموا في نشأة مدن[1].

تأكدت الصلات بين دولة بني عبد الواد والسودان الغربي عن طريق التجارة الصحراوية ونشاط القوافل التي كانت تجوب الصحاري حاملة معها المنسوجات وغيرها من منتجات بلاد المغرب وكان لموقع تلمسان الفريد الذي جعل منها مركز ا لتجمع البضائع القادمة من جنوب أوروبا وكذلك القادمة من بلاد السودان [2] .

-المراكز التجارية في كل من المغرب الأوسط والسودان الغربي :

❖ **أهم المراكز التجارية بالمغرب الأوسط :**

- **تيهرت (تاهرت) :**

اشتهرت كمدينة تجارية في العهد الرستمي(02 -03 هـ) فقد حاول أئمتها توسيع نفوذهم عن طريق التجارة والتي يقول عنها ابن الصغير استعملت السبل إلى بلاد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعه [3].

ويذكر الباروني أن افلح ابن عبد الوهاب(171 - 188) كانت له مودة مع ملك كوكو.

ويمكن القول أن الارتياد المبكر لتجارة إمارة تيهرت لبلاد السودان يعتبر بداية العلاقات المنتظمة واكتشاف أمم ما وراء الصحراء وقد كانت مدينه وركلان أو (ورجلان) واسطة بينهما فمنها تدخل الجمال محملة بالنحاس والأكسية ،ثياب الصوف وصنوف من الزجاج [4]

وتيهرت مدينة لها أسواق عامرة وتجارة مزدهرة وسوقها يسمى المعصومة و لها أربع أبواب ، باب الصفاويات، وباب الاندلس ، باب المنازل ، باب المطاحن ، وارتبطت تجارة تيهرت بشبكة واسعه من

[1] بخده طاهر، علاقة حواضر المغرب الاوسط " الجزائر بممالك السودان الغربي " ، دورية محكمة نصف سنوية ، ع 12 ، 2014 ،تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والاوقاف ، جامعة وهران ، الجزائر ، ص 33 .

[2] عبد الفتاح الغنيمي ، مرجع سابق ص 168 .

[3] عبد الحميد حسين حموده ، مرجع سابق، ص 340 .

[4] بخدة طاهر ، مرجع سابق ، ص ، ص 35 ، 36 .

الطرق تربطها بالقيروان شرقا وبفاس غرب وسجن ماسه جنوبا وبحريا ارتبطت بالأندلس وأيضا مع السودان الغربي والأوسط فكان هناك شبكة من الطرق الصحراوية الرابطة بين تيهرت والسودان الغربي .

كانت الحركة التجارية فيها نشيطه وكان التبادل التجاري ضخما فكانت بضائع تيهرت متنوعه تتجه نحو مختلف الآفاق وبضائع المغرب والمشرق تفد بانتظام على أسواق البلاد وأصبحت تيهرت" عاصمة الرستميين" مزدهرة ازدهارا كبيرا حتى صارت مجمع للتجارة والشهرة العالمية إذ سميت بالعراق الصغير فاتسع نطاقها وامنت طرقها وتحولت قراها

ومدنها الى مراكز عامرة بالتجارة وأصحاب الأموال والأسواق وعرجت عليها طرق

التجارة الزاهية من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب[1].

كانت أسواق تيهرت تعرف الاختصاص في البضائع فهناك سوق النحاس وسوق ، الأسلحة وسوق ، الصاغة وسوق الأقمشة وغيرها وهذا غير مستبعد قياسا على عادة الصناع والتجار في معظم المدن العربية والإسلامية[2] .

وقد لعبت الأباضية دورا كبيرا في إنعاش التجارة في المغرب الأوسط وبلاد الصحراء لذا تحولت تيهرت إلى مركز تجاري نشط خلال القرنين الثالث هجري والتاسع ميلادي[3].

- **بجاية :**

يقول الادريسي" هي مدينة من مدن المغرب الأوسط واقعة في أوائل الإقليم الرابع وهي قاعدة الغرب الأوسط وهي مقابل طرطوشة من الأندلس وهي مدينة قديمة مصورة أضيفت الى جانبها ربض ادير عليه سور ضام لنطاق المدينة فصار كل شيء الواحد" [4].

لمدينة بجاية أهمية كبيرة خاصة في المجال التجاري بالذات في العهد الموحدي فهي عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلقين (بلكين) [5].

تبعد بجاية عن القلعة مسيرة أربعة أيام وهي مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة وقد أحاطت بها البحر منها في ثلاث جهات، ولها دار لصناعة المراكب ، وانشاء السفن، يقول صاحب الاستبصار " وهي

---

[1] فطيمة مطهري ، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخيه حضارية (2 -3 هـ / 8- 9 م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي ، اشراف : معروف بلحاج ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم تاريخ وآثار ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، الجزائر ،2010 2009 ، ص 170، منشورة .

[2] ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية ، مرجع سابق ،179 .

[3] حسن مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والاندلس ، د ط ، ، دار الرشد ،(د س ن) ، 1992 ، ص 120.

[4] القلقشندي ، مصدر سابق، ص 109 .

[5] الادريسي ، مصدر سابق ، ص 261 .

مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الاسكندرية بطرف بلاد مصر، بلاد اليمن والهند والصين وغيرها " [1].

وتعتبر بجاية قطر لكثير من البلاد يقول الادريسي : " بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد ، والسفن اليها مقلعه وبها قوافل منحطة والامتعة اليها برا وبحر مجلوبة ، واهلها مياسير تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير، واهلها تجار يجالسون تجار المغرب وتجار الصحراء وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة " [2].

- **توات :**

يتشكل إقليم توات على ما يزيد على ثلاثمائة وخمسين من القصور والواحات المتناثرة ، لقد ازدهرت واحات توات اقتصاديا اذ كانت تستقطب القوافل القادمة من المغرب الأوسط (تلمسان) والمتجهة نحو أسواق مالي ،كان التجار يتزودون من توات بما يحتاجونه من غذاء و ماء وتسويق لمنتجاتهم ، ولقد تحدث ابن خلدون عن دور توات في المبادلات التجارية وأهميه موقعها فيقول " ... وطن توات... هو بلد مستبحر العمران وهو ركاب التجار الى مالي و بينه وبين تغر مالي المسمى" غار المفازة المجهلة " لا يهتدي فيها للسبيل ولا يمر الوارد الا بالدليل ... من الملثمين الظواعن وفي ذلك القفر يستأجره التجار... "[3].

صارت توات أهم نقطة تنطلق منها القوافل إلى بلاد السودان وتكاثر عدد التجار التواتيين في كل من تمبكتو وغاو وخاصة ايام الاسقيا الحاج محمد الاول (1493-1528)[4]

ومن قصور توات نجد قصر تيقورارين والتي تعني في لغة البربر بالمعسكرات فيقول عنهم الحسن الوازن أنهم أغنياء وأنهم اعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم الى بلاد السودان ، وهي مجمع القوافل لان تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان، ثم يذهبون جميعا.

وقيل عنهم ايضا انهم اعظم اقطار المعمورة ، بما جمعاه من امم وقصور ، وقد اشتغل اهل التوات وتجار ووسطاء فكانوا يستقبلون السلع القادمة من الشمال والتجهيز بها نحو اسواق السودان الغربي .

[1] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص- ص 123 - 130 .
[2] الادريسي مصدر السابق ، ص 260.
[3] عبد الرحمان ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص 77.
[4] لطيفة بشارى، مرجع سابق ص 122.

وكان لأسواق توات ، تمنطيط ، عين صالح و تيمون دور هام في استقبال قوافل الشمال وتوزيعها على مختلف اسواق السودان الغربي مقابل شراء العبيد والذهب الخام وريش النعام والعاج.

اما المنتجات التيواتية فكانت الطلب عليها شديد من قبل السودانيين ومن بينها التمور ، الحناء ،الطباق ،الملح ، العطور، القمح ، الزيت والمنسوجات.

ولقد نشأت عدة مدن على الخط الرابط بين اسواق توات واسواق تمبكتو مثل اروان ، مبروك ، افركان ، تاودين....[1].

لقد ظلت توات لفترات طويلة همزة وصل بين الشمال والجنوب ، وبين المغرب الاوسط والسودان الغربي فهو الممر الطبيعي لتجارة السودان الغربي ولبضائع بلدان المغرب الاسلامي، فكانت القوافل التجارية تتخذ طرقا مختلفة كالطريق المستعمل كثيرا من قبل تجار منطقة جريد التونسية ، ويمر عبر منطقتي ورجلان وتوات ، اما الطريق الاخر فهو الرابط بين تلمسان سجلماسة وتوات.

تمثلت اهمية توات في تنوع بضائعها وانفتاحها على اسواق متعددة في الشمال والجنوب وهي الميزة التي كانت سبب ازدهارها واستمرارها كمركز تجاري ، على الرغم من الازمات السياسية والاقتصادية التي كانت تعصف احيانا بها[2].

- **ورجلان :**

لعب الموقع الجغرافي لمدينة ورجلان الدور الهام في ازدهارها الإقتصادي ذلك انها كانت محطة تجارية هامة تربط أغلب المراكز التجارية المتنوعة و العابرة إلى المشرق والمغرب وبلاد السودان ، حيث يقول ابن خلدون"... يسكنها التجار الداخلون لها بالبضائع وسكانه لهذا العهد من بني واركلا" [3] ، و نظرا للحركة التجارية المزدهرة التي انتظمت بين بلاد السودان الغربي و بين شمال الصحراء الكبرى أقيمت العديد من المدن التجارية على جانبي الصحراء الكبرى وبالذات في المناطق التي كانت تمر بها طرق

[1] ب بوداوية مبخوت ،العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الاوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان ، أطروحة لنيل شهادة : دكتوراء دولة في التاريخ ، تحت اشراف :عبد الحميد حاجيات ،كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم تاريخ ،جامعة ابي بكر الصديق بلقايد تلمسان، الجزائر ، 2006/2005، ص – ص 301- 304 ، منشورة .

[2] عبد الحميد جنيدي ، مرجع سابق ، ص 42.

[3] عبد الرحمان ابن خلدن ، مصدر سابق ،ص 70 .

القوافل التجارية الرئيسية العابرة للصحراء وقد كانت هذه المدن بمثابة مراكز استقرار للتجهز للذين يقومون بنقل وتوزيع المنتجات المتداولة بين الشمال الإفريقي وجنوبه [1] .

تشير بعض المصادر ان ورجلان عرفت رخاء اقتصاديا كبير في ظل ما تملكه من مقومات اقتصادية [2].

كانت ورجلان تشكل ميناء صحراويا راجت فيه مختلف السلع والمنتجات وتحقق هذا بفعل ما تمتعت به من أمن نسبي وبانعزال موقعها وقوة أهلها والإتساع العمراني حولها[3] .

كما كانت تشكل منفذ رئيسي بين التل في المغرب الأوسط وبلاد السودان ، ومساعده على استقرار الكثير من التجار المتنقلين من الجهتين(شمال الصحراء وجنوبها) هذا ما أورده ابن خلدون[4] .

- **تلمسان :**

هي دار ملكم في وسط بين الصحراء والتل تسمى بلغه البربر تلمسان وهي كلمة مركبة تلم ومعناها تجمع ، وسان اثنان اي الصحراء والتل يقال لها أيضا تلمشان وهو ايضا مركب من تلم معناها ومعناها لها وشأن عظيم وهي عريقة في التمدن [5].

تعتبر تلمسان بوابة للتجارة مع دول مختلفة خاصة مع السودان الغربي حيث شكل موقعها تقاطع الطرق التجارية ، ومما يلاحظ ان موقع تلمسان " الدوله الزيانية" يتميز بسهولة الاتصال بالواحات في الجنوبين الغربي والشرقي وهو ما سمح لها بإقامة علاقات تجارية نشيطة مع هذه الواحات ، والاكثر من ذلك فقد رحلت بعض العائلات التلمسانية ، و استقرت في هذه الواحات منها عائلة العظوني والدور الذي قامت به عائلة المقري في توطيد العلاقات التجارية بين بلدان المغرب الاوسط والسودان الغربي [6].

اشتغلت مدينة بتنوع أسواقها ونشاطها التجاري خلال العهد الزياني وذلك لعديد الأسباب منها وجود شبكة الطرق جيدة من النقل البري داخل المغرب الأوسط سهلت على القوافل التجارية التنقل الداخلي والخارجي ولذلك يمكن القول أن مدينة تلمسان بلغت ذروة ازدهارها الاقتصادي في هذه الفترة .

---

[1] قدوري عبد الرحمن ، تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط ، مجلة المتون، ع1 ، مج 11 ،2018 ،جامعة مولاي الطاهر سعيدة ، الجزائر، ، ص 151 .

[2] بوراس العربي ، بن يحي نصيرة ، مرجع سابق ، ص 46.

[3] عمار غرايسة ، من أدوار الحضارية للمدن الصحراوية ورجلان انموذجا ، مجلة الواحات ، ع 5 ،(د س ن) ، المركز الجامعي الوادي ، الجزائر ، ص 415.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص 62 .

[5] ابن خلدون أبو زكريا يحي ، مصدر سابق ، ص ، ص 133، 134.

[6] الحاج ميلود، العلاقات التجارية بين المغرب الاوسط و السودان الغربي (160-962 هـ/776 - 1554 م)مجلة الدراسات التاريخية الاثرية ، ع 1 ، مج 3 ،جامعة زيان عاشور الجلفة ،الجزائر ، 2020، 203.

تعد الأسواق من المرافق الحيوية والضرورية لأي دولة ولا تقتصر اهميتها في كونها مجالا في التبادل تجاري للسلع والمنافع بل أنها تعكس ذلك على التفاعل الإجتماعي بين عناصر إجتماعية مختلفة[1].

كان للاستقرار السياسي الذي شهدت المغرب الاوسط في العصر الزياني اثاره في ازدهار حركة التجارة وتنشيطها حيث شهدت اسواقه نشاط متميزا في البيع والشراء ، وذلك بتشجيع كبار التجار وصغارهم على المشاركة في اقامة اسواق وتنشيطها في المدن و البوادي [2].

لتلمسان موقع تبدأ به السلع وتنتهي إليه في نفس الوقت حيث انه منطلقا للبضائع الاتية من أوروبا وغيرها من البلاد وتنتهي إليه السلع والبضائع الصحراوية وفي مقدمتها الذهب أو ما يسمى بالتبر وبسبب هذا التموقع نجحت الدولة الزيانية في خوض غمار التجارة والتبحر فيها يقول ابن خلدون واصفا العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان " فلا فلابد لهم من كل سنة رحلة الشتاء إلى قصور توات وبلد تمنطيط ، ومع نجاعتهم تخرج قفول التجار من الأمصار والتلول حتى يحط بتمنطيط ثم يبذرقون منها الى بلاد السودان..." [3].

تذكر بعض المصادر وجود ثلاث أصناف من الأسواق التي كان ينتظمها المجال الاقتصادي في المغرب الأوسط الزياني فهناك أسواق يومية التي كانت منتشرة في كل مدن الدولة الزيانية ، أما الصف الثاني فهو الأسواق الأسبوعية التي كانت تقام في يوم معين من أيام الاسبوع وكانت تعرف باسم ذلك اليوم[4] ،أما الثالث فهو الأسواق العسكرية التي كانت تصحب عادة الجيش في تنقلاته أثناء غزواته ، لكن المعلومات التاريخية حوله قليلة ،على العموم كانت هذه الأسواق تنتصب في الهواء بعيده عن السكان[5].

كما كان لتلمسان فنادق تحاذي حي القياسيرية الشهير حيث كان ينزل به التجار من مختلف البقاع ، كان قيام هذه الأسواق وتطورها يستوجب توفر الأمن فكانت تقام أحيانا في نطاق دائرة أمير يكون قادر على توفير الأمن و الحماية وهي غالبا مقابل متيازات له وغالبا ما يحمل السوق اسم ذاك الأمير مثل سوق حمزه سوق يوسف.... ، بسبب هذه الامتيازات ، كانت القبيلة التي يقع السوق بحوزتها ،

---

[1] ابراهيم فرغل محمد ، قيساريات و أسواق مدينة تلمسان في العصر الزياني (633 -962 هـ/1235 – 1554 م) ،مجلة كلية اللغة العربية ، العدد ،33 ، (د س ن)، جامعة الفيوم، مصر ، ص ،ص 10297 ،10298 .

[2] لطيفه بشارى ، منشآت التجارة الخارجية بالمغرب ، مجلة الدراسات في اثار الوطن العربي ، ع 14 ، (د س ن)، الفيوم ، مصر ، ص 1679.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون ،مصدر سابق ، ص 77 .

[4] ابن خلدون ابي زكريا يحي ، مصدر سابق ، ص 37.

[5] خالد بالعربي ، الاسواق في المغرب الاوسط خلال العهد الزيان ، دورية كان التاريخية ، ع 6 ،2009، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس ،الجزائر ،ص 33.

تبذل كل ما في وسعها لتحقيق الامن وحفظه وتأمين سلامة التجار. وبما أن هذه الأسواق تمثل المركز الإقتصادي للمدينة أو المنطقة ، فقد كان يتردد عليها مختلف الناس من له غاية تجارية او ليس له للكسب والشراء[1] .

انتظمت تجارة المغرب الأوسط إنطلاقا من تلمسان نحو بلاد السودان إنتظاما فريدا فقد أسس أبناء ابو عبد الله محمد المقري أحد أجداد ابي العباس أحمد صاحب نفح الطيب أول شركة تجارية التي يقول عنها "اشتهرت ذريتة بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجارة واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير "[2] .

كما كان لمدينة تلمسان حركة تجارية نشيطة مع بلاد السودان الغربي ، وقد برزت في المجتمع التلمساني عدة عائلات مارست النشاط التجاري اشتهرت بالغناء ويسر الحال أهمها :عائله المقري والتي اشتهرت بتجارتها الواسعة وامتلاكها للعديد من الوكالات التجارية في الواحات الصحراوية وساهمت في التبادل التجاري من تلمسان نحو سجلماسة ومنها الى إيولاتن شمال غانا ببلاد السودان الغربي فتمكنت هذه الاخيرة من التحكم في التبادل التجاري بين بلاد المغرب والسودان الغربي[3] .

- **المسيلة (المحمدية) :**

بنيت هذه المدينة على يد الخليفة الفاطمي أبا العباس على حافة وادي القصب ، وأطلق عليها إسم المحمدية وكان إختياره لموقعها نابع عن نظرته السياسية ومن أهمية المنطقة الإقتصادية و خصوبة تربتها و وفلاة مياهها فأراد ان تكون بمثابة عاصمة إقليمية وقلعة تنطلق منها الجيوش لإخماد الثورات في القسم الأوسط والغربي من المغرب الإسلامي كما أراد لها أن تكون خزانا إقتصاديا في وقت الحاجة .

فولى عليها علي بن حمدون، واستطاع هذا الأخير بفضل حنكته وذكائه نشر الأمن والإستقرار اللذان ساهم في تفعيل الحركة التجارية التي لا يمكنها ان تتحرك دون هذين الشرطين الأساسيين إمتلكت

[1] جودت عبد الكريم يوسف ، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين(3 – 4 هـ/ 9 –10 م) ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، (د س ن) ،ص ، ص 134 ، 135.

[2] بخده طاهر، مرجع سابق ، ص 35.

[3] قاصد فريدة فارس ميمونة ،فني الزهرة ،الطرق البرية و أهميتها الاستراتيجية في أقاليم المغرب الاوسط (2 –10 هـ/8 –16 م) ، مذكرة لنيل شهادة : ماستر في تاريخ حضارة المغرب الاوسط في العصر الوسيط ، اشراف ، حاكمي الحبيب ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم العلوم الانسانية ، جامعة ابن خلدون تيارت ، الجزائر ،2015-2016 ، ص91 ، منشورة

المسيلة سهول خصبة مثل سهل الحضنة ومن هذا المنطلق فقد برزت المسيلة كنقطه تجارية أو مركزية تراقب المسالك [1] .

- **قسنطينة :**

التحقت مدينة قسنطينة بحكم الدولة الأغلبية ، حيث ازدهرت إقتصاديا و ثقافيا ، إلى أن سيطر عليها الفاطميون وكثرت الصراعات المذهبية ، ليتسلم بلكين بن زيري الزعامة على ولايات المغرب فالملاحظ أن مدينة قسنطينة التي كانت تلعب أدورا ثانوية في الفترة التي إمتدت من الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب ، حتى أواخر القرن الرابع هجري ، و قد أخذت اهميتها في العهد الزيري و الحمادي تزيد ونجمها يعلو شيئا فشيئا مع مرور الزمن ، فأعادوا لها هيبتها و مكانتها كمدينة إستراتيجية وتجارية و ثقافية هامة فضلت قسنطينة بعدها تحت حكم الزيريين وتارة أخرى تحت لواء الحماديين ، إلى أن زحف عليها بنو هلال بغاراتهم و بتشجيع من الفاطميين فسيطروا عليها ، ولما استتب الأمر للموحدين بالمغرب الأقصى ،فقد وجهوا انظارهم إلى المغرب الأوسط وتمكنوا من بسط نفوذهم على عدة مدن كتلمسان وبجاية وقسنطينة لينتزعها الحفصييون فتتحول إلى مدينة تجارية عالمية وقد شهدت المدينة نهضة علمية عبر مختلف العصور وبها صارت قسنطينة من إحدى عواصم الإسلام الكبرى ومنبعا للإشعاع الفكري والحضاري [2] .

❖ **مراكز السودان الغربي :**

- **سنغاي :**

تعتبر سنغاي ذات شأن عظيم على غرار باقي ممالك ما وراء الصحراء الكبرى، و استطاعت مد نفوذها والسيطرة على المنطقة خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر لتعلو في سماء كبريات الدول آنذاك المنظمة سياسيا والقوية عسكريا

كان ملوكها يهيئون الظروف الملائمة لإستقبال التجار في وطنهم ، و يوفرون لهم الأمن ويستقبلونهم في قصورهم [3] .

---

[1] قاصد فريدة وأخرون ، مرجع سابق ، ص 92.

[2] نجاة بلعباس ،بجاية وتلمسان وأثرهما الثقافي والحضاري على المغرب الاسلامي من القرن 5 –7 هـ ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في أدب المغرب الاسلامي و الحضارة المتوسطية ، تحت اشراف :محمد مرتاض ، كلية الاداب واللغات، قسم اللغة و الادب العربي ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، الجزائر، 2017 – 2018 ، ص، ص 15 ، 16 .

[3] لطيفة بشارى ، مرجع سابق ، ص ،ص 111 112،.

عرفت هذه المملكة من خلال أهم المراكز الحضارية و الإقتصادية والسياسية كمركز جني ، غاو وتمبكتو:

- **جني (جنة) :**

تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تمبكتو وهي مدينة شاسعة كان عدد قراها في 10هـ قرية وهي مدينة معاصرة في تاريخها لمدينة تمبكتو ،أصبحت هذه المدينة ملتقى للقوافل التجارية التي تسير بين شمال الصحراء وجنوبها، حتى اصبحت مركزا تجاريا هاما وهذا ما جعل التجار يحملون لها الإسلام مع ما حمل من السلع فأخذ الإسلام يدب رويدا رويدا فيها وأقام بها كثيرا من العلماء ، يعملون على نشر الإسلام [1] وحين بدا ازدهار تمبكتو صارت " جني " مكانا لإلتقاء التجار للتبادل التجاري بينهم ، حيث أن تجار الجنوب يأتون الى جني يأخذون ما يحتاجونه من بضائع الشمال ويبيعون للتجار العبيد كما يبادلونهم بالذهب(التبر)[2] .

- **غاو(جاو – كوكوا) :**

ورد ذكرها عند العديد من الرحالة و الجغرافيون ومن بينهم البكري " ...ومدينة كوكوا تسع مراحل العرب و تَسمى أهلها البزركانيين وهي مدينتان مدينة الملك ومدينة المسلمين ...ويزعمون أنهم سموا كوكوا لان ذلك يفهم من نغمة طبلهم "[3] .

يقول الادريسي " مدينة كوكوا مدينة مدينة مشهورة من بلاد السودان كبيرة وهي على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها ومنه شرب أهلها ....وهم يداخلون التجار ويجالسونهم ويبضعونهم بالبضائع على جهة المقارضة "[4] .

نمت هذه المدينة سريعا لوقوعها على نهاية الطريق الصحراوي عبر المنطقتين الشرقية والوسطى من الصحراء الكبرى ، انتشرت اتصالاتها بهذه المناطق فتجمعت في المدينة بضائع المنطقة كلها و ارتادتها القوافل التجارية منذ القدم ، ونتج عن هذا النشاط التجاري توسع جاو وامتداد حدودها إلى المناطق المجاورة .... وصارت مدينة جاو المدينة التجارية الأولى في وسط نهر النيجر[5] .

---

[1] عبد الله سالم بازينة ،إنتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء ، ط1، الادارة العامة للمكتبات و المطبوعات و النشر ،ليبيا ، 2010 ، ص 144.

[2] بوداوية مبخوت ، مرجع سابق ،ص 299.

[3] البكري ،مصدر سابق ،ص 183.

[4] الادريسي ، مصدر سابق ، ص 28.

[5] عبد الله سالم بازينة ، مرجع سابق ، ص 146.

وكان الطريق الصاعد منها شمالا يتفرع إلى فرعين الأيمن يتجه نحو ورجلان والأيسر يتجه نحو سجلماسة.

وتشتهر مدينة غاو بسوقها الأسبوعي الذي يباع فيه العبيد بأثمان بخسة لا يتجاوز ثمن العبد الشاب أو الأَمة الشابة ستة عشر درهما[1] .

- **تمبكتو :**

يسمى هذا المكان باسم عاصمته تمبكتو التي بناها الملك منسى سليمان حوالي عام 610هـ ولا تبعد هذه المدينة عن ضفاف نهر النيجر إلا بنحو أربعة فراسخ[2] .

تزخر تمبكتو بكثير من الدكاكين للتجارة والصناع أهم تجارتهم الثياب القطنية التي يستبدلونها بثياب مصنوعة في أوروبا يأتي بها التجار من بلاد البربر وهؤلاء التجار وأصحاب الحرف كلهم أغنياء ولا سيما منهم الغرباء الذين يستوطنون البلاد[3]

توافد على تمبكتو جل تجار صنهاجة (مسوفة، جدالة و لمتونة) ،كما توافد عليها تجار من فزان وغدامس و ورجلان وطرابلس يحملون بضائعهم الى تمبكتو ويقايضونها بالذهب وناب الفيل وريش النعام وبخور السودان والعبيد لقد بلغ تعداد القوافل التجارية القادمة من مملكة مالي الإسلامية القرن الثامن (751 هـ 1350 م) 12 جمل[4].

إشتهرت تمبكتو بصفة خاصة بأنها مركز دين وتجارة وذلك لأن الحركة العلمية ازدهرت بها خاصة في زمن السلطان منسى موسى حيث استخدم عددا كبيرا من العلماء ولا سيما من المغرب ومصر والاندلس فامتلات هذه المدينه علماء

ظهرت تمبكتو في القرن الخامس عشر والسادس عشر كأعظم مدينة حضارية وثقافية وعلمية في السودان الغربي[5] .

- **تغازا :**

---

[1] بوداوية مبخوت ، مرجع سابق ص 296.

[2] **الفرسخ** : هو مقياس قديم من المقاييس الطول يقدر بثلاثة اميال، انظر المعجم الوسيط ط4 ، مكتبه الشروق الدولية ، مصر، 2005 ، ص 681.

[3] مارمول كربخال ، تر: محمد حجي واخرون ، د ط ، ج3 ، دار النشر و المعرفة ،الرباط المغرب ،1984 ، ص 202 .

[4] بو داوية مبخوت ، مرجع سابق ، ص ص 297 298 .

[5] عبد الله سالم بازينة ، مرجع سابق ، ص 143.

هناك اختلاف في تسميتها فمنهم من يطلق عليها بتغازا وهناك من يطلق عليه تغزة وهي مدينة مأهولة بالسكان موقعها متوسط بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ومعظهم سكان قبيلة مسوفة احدى قبائل صنهاجة التي تشتهر بمعدن الملح الغالي الثمن في أسواق السودان الغربي[1].

يقول حسن الوازن " تغزة مكان مأهول فيه عدد من مناجم الملح التي تشبه الرخام يستخرج الملح من الحفر تحيط بها أكواخ عديده يسكنها المستخدمون لإستخراج هذا الملح وليسوا من سكان البلدة بل هم من أصل اجنبي يأتون مع القوافل و يقيمون هنا كمنجمين يستخرجون ملح و يحتفظون به حتى تأتي قافلة فتشترية منهم ومن هنا يحمل إلى تمبكتو التي يعوزها الملح كثيرا ، يحمل كل جمل أربعة قطع من الملح وليس للعاملين في ملح تغزة قوت إلا ما يحمل إليهم من تمبكتو ودرعة وكلاهما مسيرة عشرين يوما من تغزة وقد يموت أحيانا بعضهم جوعا في أكواخهم لفقد القوت بسبب عدم مجيء القافلة ويقول الوازن أقمت مره في تغزة ثلاثة أيام ريثما يحمل الملح و اضطررت أثناء ذلك إلى شرب الماء المالح من بعض الآبار القريبة من المنجم " [2] .

تعتبر هذه القرية محطة القوافل التجارية القادمة من سجلماسة وتوات وطرابلس، وغدامس وعين صالح في اتجاه السودان وتقع جنوب سجلماسة.

وإلى الملح يعود فضل في احداث الطريق الذي يمر بها – تغازا- ليصل بين مدن بلاد المغرب وبين مدن بلاد السودان وكانت مدن الشمال تمولها بما تحتاجه من مواد غذائية وكانت تغازا تابعه لقبيلة مسوفة ، التي ضمها امبراطور سنغاي إليها من سنة 899 هـ الى 935 هـ [3] .

- **أودغست :**

هي مدينة كبيرة آهلة رملية يطل عليها جبل كبير موت لا ينبت فيه شيء ، بها جامع ومساجد كثيرة آهلة ... وحولها بساتين نخل [4].

[1] بو داوية مبخوت ، مرجع سابق ، ص 298 .
[2] حسن الوازن ، مصدر سابق ، ص، ص 108، 109.
[3] لطيفة بشارى، مرجع سابق ، ص ،ص 59، 60 .
[4] البكري ،مصدر سابق ص 158.

ولهم أسواق حافلة عامرة الدهر كله لا يكاد يسمع الإنسان فيها جليسه لكثرة غوغاء الناس وتجارتهم إنما هي بالتبر وليس عندهم فضه وبمدينة أودغست مبان حسنة ومنازل رفيعة وأهلها اخلاط من جميع الامصار وقد إستوطنوها لكثرة خيرها ونفاق أسواقها وتجارتها [1].

أما الادريسي الذي عاش في القرن (6 هـ /12 م) يصف التجارة فيها بالقليلة أما القلقشندي الذي عاش في نهاية القرن 14 وبداية القرن الخامس عشر ميلادي و (8 –9 هـ) فيقول بأن أسواقها عديدة ،

والذي يقارن بين أقوال هؤلاء الجغرافيين الثلاثة يلاحظ أن التجارة لم تكن مستقرة على حال واحدة بأودغست ، في الفترة الواقعة ما بين القرنين الحادي عشر و الخامس عشر ميلادي بل كانت تتأرجح بين القوة والضعف و بقيت اودغست تقوم بدورها كسوق و كمحطه للقوافل القادمة من الشمال حتى القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي

ومنذ ذلك الوقت حلت محلها في النشاط التجاري ايولاتن .

- **ايولاتن (ولاتة او اولان) :**

تأسست مدينة ايولاتن سنة 1224م شمال غانا في طريق القوافل القادمة من سجلماسة على مسيرة حوالي شهرين منها [2]، يقول ابن بطوطة "... ولما عزمت على السفر الى مالي وبينها وبين ايولاتن مسيرة أربعة وعشرون يوما " .

والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا ايدام ولا دينارا ولا درهما، إنما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج يسميه الناس بالنظم ، وبعض السلع العطرية وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكى و تاسرغنت ، وهو بخورهم واذا وصل القرية جاءت نساء السودان بانلي واللبن والدجاج ودقيق النبق والارز ... فيشتري منهم ما أحب من ذلك وبعد مسيرة عشرة أيام وصلنا إلى قرية زاغرى [3].

بدأت ولاته تحتل مكانتها كمركز تجاري على طريق الصحراء الجنوبي بعد سقوط مملكة غانا وقيام مملكة مالي ، التي ضمتها إلى حدودها حيث اتجهت إليها القوافل عبر المنطقة الغربية من الصحراء

[1] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ص 215.

[2] لطيفة بشارى ، العلاقات التجارية للمغرب الاوسط ، المرجع السابق ، ص ،ص 60، 61.

[3] ا بو عبد الله محمد ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، تح: الشيخ محمد عبد المنعم العريان ، ط 1، دار ا احياء العلوم ، بيروت ،لبنان ، 1987 ، ص 691.

الكبرى وأشار بن بطوطه إلى اهتمام أهل ولاته بالتجار وارتبطت بعلاقات تجارية مع تمبكتو وباقي المراكز الأخرى [1]

ولاته او ايولاتن مملكة بربرية صحراوية تتاخم غينيا جنوبا وتقابل صنهاجة شمال القبائل التي تتواجد في ربوع هذه المملكة فإنها تسمى ببنيي ايس .

يتلتم (يتلثم) رجال ونساء هذه القبائل ولا يوجد بينهم قضاة ولا يوجد في المملكة إلا ثلاث قرى تقع على مسافه 100 فرسخا من التخوم الجنوبية وعلى مسافة و 160 فرسخا.

وعندما كان الصنهاجيون يسوسون هذه المملكة وما يجاورها من الأمصار كانت عاصمة المملكة ولاته إحدى هذه القرى وهذا هو السبب الذي جعل شطر نهر النيجر الذي يمر بهذه المنطقة يسمى نهر صنهاجة وكان برابر الشمال يتاجرون مع أهل المنطقة بمصب هذا النهر وفي عهد الملك (صوني علي) تحول محور المعاملات التجارية إلى كاو و تمبكتو حيث وجد التجار مجال لغزو أسواق عديده أصبحت مملكة ولاتة أكثر فقرا مما كانت عليه[2].

- **غـانة :**

تأسست مملكة غانة حوالي عام 300 ميلادي واستمدت إسمها من عاصمتها القديمة غانة واتسعت رقعتها بمرور الزمن وكانت عاصمتها الأولى تدعى أوكور، في إقليم اوكور الرملي جنوب موريتانيا الحالية.

وقد أسست هذه المملكة مجموعة من القبائل البربرية المغاربية الزاحفة والمهاجرة من شمال إفريقيا إلى هذه المنطقة واستقرت في أوساط شعب الماندي وشعوب السونينكي الزنجية خلال القرن الثاني م وفرضت سيطرتها عليها ، وأسست لنفسها أسرة حاكمة خلال القرن الرابع ميلادي ، ثار السونينكيون عليها وطردوها واستولو على الحكم في غانة سنة 770 م [3].

لما كانت غانا هي مصدر الذهب خصها البكري بالوصف فقال "كانت مدينتين سهليتين إحداهما يسكنها المسلمون وهي كبيرة .... هل يوجد في جميع ما عاد بلاده الندرة من الذهب إصطفاها الملك وإنما يترك للناس هذا التبر الدقيق " [4]

[1] عبد الله سالم بازينة ، مرجع سابق ، ص 147.
[2] حسن الوازن ، مصدر سابق ، ص 199
[3] يحي بوعزيز ،مرجع سابق، ص 19 .
[4] ابراهيم بحاز ، مرجع سابق ، ص 113.

تعد مملكة غانا من أبرز ممالك السودان الغربي والأوسط ومن أشهر ممالك هذه المملكة مدينه غانا فهي من كبريات حواضر الصحراء لغناها ببعض المواد النفيسة كالذهب والفضة زيادة على رواجها كأهم سوق في ممالك السودان يقصدها التجار من كل الاقطار من المشرق والمغرب من الشمال والجنوب ويصفها ابن حوقل فيقول غانا أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من أموال ومدخرة من تبر المسار على قديم الأيام وللمتقدمين من ملوكهم[1] .

إعتمد اقتصادها على تجارة الصحراء ، وعلى إستغلال منجم الذهب في الجنوب ومناجم الملح في الشمال ، نظم ملوكها وأمرائها طرق إستخلاص الضرائب للخزينة العامة على أساس دينار ذهبي واحد على كل حمولة ملح تدخل ، البلاد ودينارين على كل حمولة تخرج من البلاد وأوقية الذهب عن حمولة نحاس أما بقية البضائع فقط فرضوا عليها الضعف وسمح ذلك للدولة أن تعمر خزينتها [2].

9 – مالي :

نهضت هذه المملكة على أنقاض غانا في القرن الثالث عشر ميلادي [3] و هي تمتد على طول أحد فروع النيجر في مسافة ثلاث مئة ميل متاخمة كناوة (غينيا) من جهة الشمال ،والقفر مع جبال وعرة من جهة الجنوب وتحدها غربا غابات مهجورة تمتد إلى المحيط وشرقا إقليم كاغو[4] ، وقد إتخذت هذه المملكة حاضرة لها عرفت بي بنياني أي المدينة الآمنة ، ويرجع الفضل في تأسيسها للملك سانديانا كيتا الذي عمل على هزيمة الصوصو في معركة كابرينا في القرن 7 هـ 12 م [5] ،أطلق إسمها على سائر المملكة يسكنها الملك وحاشيته ويكثر في البلاد الحب واللحم والقطن وهم أكثر تحظرا وذكاء واعتبارا من بين جميع السودان لأنهم كانو سباقين لإعتناق الاسلام [6]

يوجد بها عدد كبير من الصناع والتجار المقيمين والطارئين وهم اكثر تحظرا وذكاء واعتبارا من بين جميع السودان لانهم السباقين لاعتناق الاسلام [7] .

---

[1] ميلود بلحاج ، مرجع سابق ،ص 204.

[2] يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 24 .

[3] توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، تر: حسن ابراهيم حسن وأخرون ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1971، ص ، ص 358 ، 359 .

[4] الحسن الوازن ، مصدر سابق ، ص 164 .

[5] الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا ، ط1 ، دار الملتقى للطباعة والنشر بيروت ، لبنان ، 2001، ص 25 .

[6] عبد الرحمان بن عبد الله بن عمر السعدي ، تاريخ السودان ،تر: هوداس ،د ط ، مطبعة بريدن ،باريس 1998 ، ص، ص 164 ، 165 .

[7] الحسن الوازن ، المصدر السابق ، ص، ص 164، 165 .

وقد وصلت مالي إلى قمة مجدها تحت راية السلطان منسى موسى الذي كون مملكة مترامية الأطراف وهذا يدل على أن منسى موسى هو الرمز الحقيقي لمملكتة حيث وصلت البلاد في عهده إلى قمة مجدها

أما عن الحركة التجارية بين التكرور (مالي) ونظيراتها من مدن السودان الغربي والشمال الافريقي فقد شهدت تطورا ملحوظا بارتباطها بالشمال الافريقي [1] .

❖ **المبادلات التجارية :**

- **الصادرات :**

تتعامل حواضر المغرب الأوسط مع حواضر وممالك السودان الغربي وذلك بتبادل العديد من البضائع مثل : المواد الغذائية والنسيجية والجلدية وبعض المواد التي تستغل في مختلف الصناعات الحيوية .

كانت تجارة الصحراء تتم بالتبادل (المقايضة) في معظم الاحيان نظرا لقلة العملات وضعف انتشارها واستعمالها ، فكمية من الملح مثلا يتم تبادلها ب 20 وزنه من البشنة (الدخن) واللوبيا الأهلية ، وحمار واحد يباع بالف وزنه من البشنة وهو ما يعادل 10 حمولات بعير ، أو بقطعتين من القماش الأسود المخيط ، وزوج من التقاشير(جوارب)، وحمولتا بعيرين من الأرز ، ومزودة يباعان بقطعة قماش ذات مقاس 40 كودي [2] .

ونظرا لأهمية الملح كونه عنصرا أساسيا في نمو جسم الإنسان والوقاية من بعض الأمراض ، هذا ما يفسر بالفعل المكانة التي إحتلها عند غالبية سكان الممالك التي عرفتها منطقة غرب إفريقيا ... وكانت كمية الملح المستخرجة والمنقولة من المناجم ، توحي إلى الأهمية الكبرى التي إحتلها هذا المعدن في حياة الأفارقة والمغاربة معا ، فتزن قطع الملح المصدرة الى السودان بين 85 الى 90 كلغ [3] .

ويقول البكري " وهو عندهم غزير يجلب إليهم من سائر البلاد ....ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة وغانة وساير السودان " [4] .

يذكر القلقشندي في كتابه صبح الاعشى " وبهذه البلاد– معدن الملح– وليس في شيء من السودان الواجين والجنوب والمسامتين لسجلماسة وما وراءها ملح سواه ... ان الملح معدوم داخل السودان ، فقد

---

[1] الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا مرجع سابق ، ص – ص 37– 51 .

[2] يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 48 .

[3] جميلة بن موسى ، تجارة الذهب بين المغرب الاسلامي والسودان الغربي (3 – 5 هـ/9 – 10م) ، مذكرة لنيل شهادة : الماجستير في التاريخ الاسلامي ،اشراف ابراهيم فخار ، كلية العلوم الانسانية ، قسم تاريخ ، جامعة الجزائر ، الجزائر ،(2000 –2001) ، ص177، منشورة .

[4] جميلة بن موسى ، مرجع سابق ، ص 171 .

كان تجار المغرب يقايضون الملح بالذهب فيقول القلقشندي"... فاذا اخذ التجار الذهب اخذوا الملح " [1]

وتعد تغازى من المناطق الأشهر إنتاجا الملح فيحددها القزويني لأنها تقع جنوب المغرب بقرب المحيط ، ومعظم سكانها من قبيلة مسوفة إحدى قبائل صنهاجة ، والذين يقومون بإستخراجه من خارج البلد ، فيستخرجون هذا المعدن ، و كانوا ينتظرون القوافل القادمة من الشمال ليحمل ويباع في المدن والقرى فيقول البكري" ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة وغانا وساير السودان " [2] .

كانت مادة الملح تباع بأثمان مرتفعة في السودان الغربي ووقعت مقايضتها بالذهب، فيقول القلقشندي " ...وحدثت أن من أمم السودان الداخلة من لا يظهر لهم – التجارة الصامتة – بل اذا جاء التجار بالملح وضعوه ثم غابوا ، فيجيئ السودان فيضعون إيزاءه الذهب ، فإذا أخذ التجار الذهب أخذوا هم الملح" [3] ، وقد أشار ابن بطوطه أن السودانيين كانوا يتزودون بعد عودتهم من تجارتهم بالشمال من ممالح تغازى لبيعها ببلادهم [4].يقول صاحب الإستبصار " وببلاد الفروين يبدل الملح بالذهب لعدمه عندهم[5] .

كان الملح يأتي في الدرجة الثانية بعد الذهب فكانت هذه المادة الأساسية في المبادلات التجارية المغاربية السودانية وقد أشار ابن بطوطة إلى قيمته النقدية في السودان الغربي وبالملح يتصرف السودان كما يتصرف بالذهب والفضة و يقطعونه قطع ويتبايعون به [6] يقول البكري " ويقطع كما يقطع الحجارة [7] ".

أما المنسوجات فلم يقتصر التجار على تصدير المصنوعات النسيجية التي تحاك في تلمسان بل كانوا يشترون الحرير المصنوع المتقن من اوروبا ثم يصدرونه إلى بلاد السودان [8] .

[1] القلقشندي ،مصدر سابق ، ص 291.
[2] البكري ، مصدر سابق ، ص 171.
[3] القلقشندي ، مصدر سابق ، ص 291.
[4] بوداوية مبخوت، مرجع سابق ، ص 230.
[5] مؤلف مجهول، مصدرسابق ، ص 219 .
[6] بوداوية مبخوت، مرجع سابق ، ص 329.
[7] البكري ، مصدر سابق ، ص 171.
[8] لطيفة بشارى ، مرجع سابق ، ص 207.

و كانت زراعة القطن وصناعته تنتشر حول تلمسان ويبيعها التجار وكانت تصدر كميات كبيرة منه إلى بلاد السودان حيث راجت هذه الصناعة الممتازة ببلاد السودان واختصت بها الطبقة الحاكمة، لا شك ان اختصاص الطبقة الحاكمة بهذا النوع من البضاعة يدل على ارتفاع سعرها هناك[1] .

وقد اختصت الطبقة الحاكمة في تلك الفترة بنوع من القماش، كان يصنع في تلمسان وكانت لحمته من الحرير وسُداه من القطن كان يستعمله التجار والقضاة والاغنياء عمائم وكفنوا به موتاهم[2] .

تنوعت صادرات المغرب الاوسط حسب تنوع اقاليمها حيث كان يصدر فائض الحبوب إلى البقاع والممالك المجاورة من بينها ممالك السودان ، ومن خلال المصادر نرى أن وفرت المحاصيل الزراعية استوجبت عليهم توزيع الفائض الزائد عن حاجياتهم فنجد ابن حوقل يتحدث عن وفرت هذه المحاصيل في الكثير من المواضع "...ومن الحنطة والشعير أمر عظيم ...وأكثر غلاتهم القمح والشعير....وغلاتهم من القمح والشعير وافرة "

ويذكر ايضا " ... ومن غلاتهم الحنطة والشعير وتكثر عندهم ..."[3]

يقول ابن حوقل " وما حمل منه الى البلدان النائية عنه " يعني أنهم يصدرون الزائد عن حاجاتهم ، بالإضافة إلى الكتان الذي كان منتشر في المغرب الأوسط الذي كان يستخلصون منه الألياف التي يستعملونها في النسيج [4] .

كما تصدر كميات معتبرة من الفواكه كالكروم فيقول الادريسي ان " ولهم عليه كروم وأجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم ولهم من السفرجل المعلق ...."[5] وتنتج كروم تلمسان الزبيب من النوع الجيد وهذه من الفواكه التي يقبل عليها سكان بلاد السودان فكان سعرها مرتفعا[6] ، بالإضافة للزيوت والتمور، و كانت الحركة التجارية نشيطة وقد ساعد في تكوينها تجار الشمال الإفريقي فجلبوا إليها القمح والتمر والزبيب حتى وصل سعر القنطار القمح عندهم في أغلب الأوقات ستة مثاقيل وكذلك التمر والزبيب [7] ، بالإضافة للصوف و الجلود [8].

---

[1] لطيفة بشارى ، المرجع سابق، ص ، ص 206 ، 207.

[2] بوداوية مبخوت مرجع سابق ص 325.

[3] ابن حوقل مصدر سابق ، ص ، ص 85 ،87 .

[4] لطيفة بشارى، مرجع سابق ، ص 207.

[5] ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص 85.

[6] لطيفة بشارى مرجع سابق ، ص 199.

[7] عبد الله سالم بازينة ، مرجع سابق ، 141

[8] جميلة بن موسى ،مرجع سابق ، ص 179.

أما المتاجرة في الحيوانات فكانت وفيرة خاصة الخيول فقد اغتنى التلمسانيون بتربية الخيل فكانت أهم صادراتهم بأتجاه اوروبا و بلاد السودان ،كان انتقال الخيل من الشمال إلى الجنوب أمرا صعبا لما تتعرض له من تقلبات مناخية وخاصة إنها لا تتحمل مثل الجمل حيث أن الرأس الواحدة تساوي مائة مثقال و كان هناك اقبال كبير على خيول المغرب بالضافة للجمال التي كانت أثمانها تختلف حسب نوعها .

أما العطور فكانت تكون نسبة هامة من المواد التي تصدر إلى بلاد السودان حيث يقبل عليها السكان فيشترونها بأثمان مرتفعة [1] .

كانت تربية النحل واسعة شمال المغرب الأوسط ، ويتركز حول وهران وكان العسل يصدر إلى النواحي المجاورة [2]، يقول ابن حوقل " ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات " [3] .

أما النحاس قليلا ببلاد السودان الغربي ، يستخرج من منجم وحيد يقع قرب تكدة فيذكر الدالي ومن المعادن المهمة والقليلة في السودان الغربي معدن النحاس وقد أورد ابن بطوطة عن هذا المعدن قائلا " ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه في الارض ويأتون به إلى البلد " [4] ، وقد ساهم التجار المغاربة في توفير تلك المادة وكان جزء منها يصدر من الجنوب لتزويد بعض الحرفيين الذين يشتغلون بتصنيع النحاس في سنغاي[5] .

ويذكر لنا القلقشندي عن سعر النحاس في مدن السودان " معدن النحاس الأحمر يجلب منه قضبان إلى مدينة بنبي قاعدة مالي فيبعث منه إلى بلاد السودان الكفار فيباع وزن مثقال بثلثي وزنه من الذهب ، ويباع كل مئة مثقال من النحاس بستة وستين مثقال وثلثي مثقال من الذهب [6] .

- **الواردات :**

كان لمنطقة السودان الغربي ثروة, معدنية, يفوق عائدها الإقتصادي الثروتين السابقتين وتشمل معادن جد مهمة و منها الذهب.

ومعدن الذهب من أهم المعادن التي حظيت بالعناية الفائقة من قبل حكام السودان الغربي في مقدمتهم السلطان أسكيا الحاج محمد الكبير سلطان سنغاي ، نظرا لأنه يمثل العمود الفقري لإقتصاد السودان

[1] جميلة بن موسى ، مرجع سابق ، ص- ص 200- 208.
[2] لطيفة بشارى، مرجع سابق ، ص208.
[3] ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص 86.
[4] الهادي المبروك الدالي ،التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، مرجع سابق ، ص 284.
[5] لطيفة بشارى ، مرجع سابق ،ص213.
[6] القلقشندي، مصدر سابق ، ص 291.

الغربي ، ويوجد هذا الذهب في أعالي نهر النيجر الذي يجرفه معه عند انحداره السريع، حيث يتسع مجراه عند جاو و تمبكتو [1] ، كما يوجد في نقارة [2] ...واشترى أكثره أهل و رقلان واهل المغرب الاقصى وأخرجوه الى دور السك في بلدانهم [3]

كانت تعاملات تجار شمال افريقيا عموما والمغرب بالأخص تعتمد في ايراداتها على صنفين أساسيين وهما الذهب والعبيد فهما أكثر ما تقايض أو اقتني من بلاد السودان

تتمثل المحطات الصحراوية الواقعة في شمال الصحراء هي المشَكلة للمدن المغربية التي نشأت على حدود بلاد السودان والتي كونت محطات تجارية حقيقية ، التي تتمثل في كل من سجلماسة – والتي تمثل محطة عبور لباقي الطرق في الشق الغربي – ، نول لمطة ،تامدلت ، ورقلة ، غدامس و زويلة ....وتعتبر هذه المدن أول إنطلاقة لمعدن الذهب داخل أراضي المغرب لتتم المرحلة الاولى لرحلة ذهب السودان نحو الشمال في انتظار المرحلة الثانية الكبرى والتي يجتاز فيها المدن المغربية الشمالية الكبرى موجها لأهدافه..... ويواصل رحلته على شكل تبر إلى غاية الإلتحاق بمراكز التحويل بكل من فاس ، مراكش ،تاهرتن ، تلمسان[4] .

يقول البكري " أن أفضل ذهب هو ذهب غيارو ، كما يذكر لنا ان انبارة هي أكثر البلدان ذهبا [5] ، كان الذهب أيضا متوفر في أسواق سنغاي على أيام الأسكيين مما حمل عدد من الرحالة العرب كإبن سعيد و العمري وغيرهم على القول " أن نهر النيل يزرع الذهب على شواطئه ويذهب الأهالي ليقطفوه ،فينال كل منهم ما قُدر له "[6] فيقول السلطان منسا موسى عندما سُأل عن معدن الذهب عند زيارته لمصر " نوع في زمن الربيع عقيب الامطارينبت في الصحراء وله ورق شبيه بالنخيل وأصوله التبر* ، و

---

[1] الهادي المبروك الدالي ،التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، مرجع سابق ، ص 281.

[2] **نقارة او ونقاوة، ونجراته** : وهي بلاد التبر المشهورة بالطيب و الكثرة ، وهي جزيرة طولها ثلاث مائة ميل ، وعرضها مائة وخمسون ميل والنيل يحيط بها من كل جهة ،وهي بلاد معمورة ومعاقل مشهورة وأهلها أغنياء و التبر بأيديهم كثير و الخيرات مجلوبة اليهم من أطراف الارض و أقاصيها ، انظر الادريسي، مصدر سابق ، ص ، ص 24 ، 25.

[3] الادريسي ،، مصدر سابق ، ص 24.

[4] جميلة بن موسى ،مرجع سابق ، ص 160.

[5] الادريسي ، ، مصدر سابق ، ص – ص ، 176 – 179 .

[6] الهادي المبروك الدالي ،التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، مرجع سابق ، ص 282.

* تلمس المبالغة والخيال الجامح في تصوير الذهب ، وذلك لشهرة منطقة السودان الغربي بهذا المعدن وهي التي جعلت المؤرخين ينسجون حولها الاساطير ، ان معدن الذهب موجود في المنطقة بكثرة ، وانه يمثل جانبا من حياة السكان ، انظر الهادي المبروك الدالي ،التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، مرجع سابق ، 283.

الآخر يوجد في جميع السنة في أماكن معروفة على ضفاف مجاري النيل فيحفر هناك حفائر فتوجد أصول الذهب كالحجارة والحصى فيؤخذ ، وكلاهما هو المسمى التبر[1] .

ويذكر القلقشندي أن " الشيخ سعيد الدُكَالي حكى أنه إنما يهادي بشيء منه كالمصانعة ، وانه يتكسب عليهم في المبيعات لأن بلادهم لا شيء بها " [2] .

أما فيما يخص تجارة العبيد أو ما يسمى الرقيق فقد كانت رائجة و قد أشار أغلب الرحالة كثرة الحواضر والمدن بالسودان بحيث اشتهرت زويلة [3] كمركز هام لتجارة الخدم السود أو الرقيق حيث كانت تعمل على جلب وتصدير الرقيق الأسود ،إلى كل أنحاء العالم الإسلامي بما في ذلك المغرب الاوسط بحكم قربها من السودان الغربي ، استفاد المغرب الاسلامي عموما والأوسط بصفة خاصة من هذه التجارة بشكل جعل العبد الإفريقي عنصرا أساسيا في العديد من الحروب التي خاضها أمراء المغرب داخل وخارج المغرب حيث استخدمهم الزيريون و الصنهاجيون و المرابطون كرُماة في حروبهم واستطاع المرابطون وحدهم شراء ما يقارب ألفي عبد عام 466 هـ 1072 م ، وقد انتشرت هذه التجارة بالموازنة مع تجارة الذهب ، لتصبح سجلماسة و ورقلة أهم المراكز المغربية التي تخص العبيد قبل تسويقهم الى داخل وخارج المغرب [4] ، بالإضافة لتوات ، تعد تجارة الرقيق فيها من بين أهم المعاملات التجارية التي كان يتم مزاولتها حيث تنوعت مصادر الرقيق التي تأتيها من المناطق الجنوبية خاصة من بلاد الهوسا و سرقو و الفوتا وكذا الفلان و البمبار....وقد كان يستعمل العبيد بتوات كيد عاملة في الفلاحة والبناء وداخل البيوت وهناك من اقتصرت أعمالهم على الأعمال الشاقة و توجد هذه الطبقة في كل الحواضر و القصور[5] و الازواد[6] .

دخلت تجارة العاج عبر قوافل السودان الغربي منذ عصر الجرمانيين والفينيقيين وكان العاج متوفرا بكميات كبيرة جعلت المواطنين يصنعون منها أواني الشرب ويزينون به الخيل وكان من الكماليات المرغوب فيها بالشمال الإفريقي ويتم تصديرها للمغرب، وبذلك يعتبر من أهم صادرات السودان الغربي

---

[1] نفسه ص 283.

[2] القلقشندي ، مصدر سابق ، ص 290.

[3] **زويلة** : يقول البكري وزويلة من أطرابلس بين المغرب و القبلة ويجلب منها الرقيق الى ناحية افريقية ، أنظر البكري مصدر سابق ، ص 11.

[4] جميلة بن موسى ، مرجع سابق ، ص ص 174 ، 175.

[5] محمد الصالح حويته : توات الازواد ، د ط ، ج2 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 ، ص 365.

[6] **الأزواد** : كلمة من لغة الطوارق مشتقة من " ازوا" وهو المسقى الدائري من الخشب مؤنثه ومصغرة تزوا وهو عبارة عن كرنيب اصغر من الازواد ويستعمل كإناء للحليب ، منطقة الازواد فهي تشتمل على المناطق الواقعة وراء الحدود الجزائرية فيها ويعرف بدولة مالي ، انظر ، محمد الصالح حويته ، توات الأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، د ط ، ج1 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 ، ص 38.

زمن دولة سنغاي ، وكانت تجلب هذه المادة من مناطق الغابات الجنوبية للسودان الغربي حيث يعيش الفيل وحيد القرن ، وكانت مادة العاج تستعمل في ميادين كثيرة مثل الترصيع وفي حشوات المنابر ويدخل في صناعة الأثاث الفخم[1] .

بالإضافة الى بعض المواد المختلفة كالسياط والذي يعتبر من السلع التي يصدرها تجار السودان الغربي للشمال الإفريقي وتعرف باسم ساربا فات والتي تصنع في بلاد التكرور من جلد حيوان يصطادونه من النهر يسمى قفو وقد وجدت هذه السلع سوقا رائجة إذ يحتاج إليها في ركوب الإبل ،أما أحسن الجلود المستوردة من السودان فهي جلد اللمط [2] ، وهذا الحيوان الذي تتخذ من جلده تروس يؤتى به من لمطة[3] ، كما كان السودان يصدر الاينوس والعسل والصمغ وحبوب الكولا وريش النعام وأدوات الزينة كما كانت الشب من السلع التي يصدرها السودان الغربي[4] .

أما التوابل والبهارات فقد كان التجار المحليون يجلبونها من مناطق الغابات الإستوائية واستخدمت إما للطهي أو كعقاقير طبية وكانت أثمانها باهظة جدا رغم ذلك كان الإقبال على شرائها شديدا ،كما كان لريش النعام رواج كبير في الأسواق حيث أنه كانت تحشى به الأرائك و المخاد في البيوتات والقاعات ، كما تتخذ منه مراوح للتهوية أو الزينة ، كان تجار المغرب الأوسط يجلبون منه كميات كبيرة من أسوا ق السودان ، أما بالنسبة لبيضه فكان يتخذ من مُحِه أحد العناصر الهامة في تركيب الأدوية فكانت أثمانه في الأسواق مرتفعة[5].

2-العلاقات الفكرية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي :

❖ انتشار الإسلام في السودان الغربي :

دخل الإسلام إلى غرب إفريقيا من شمال القارة متبعا في أغلب الأحيان طرق القوافل والمراكز التجارية عبر الصحراء الكبرى وعلى طول الساحل الأطلسي حيث تتجه هذه المسالك إلى مناطق اتصال الرمال بمياه المحيط و إلتقاء مجاري الأنهار بالأطراف الجنوبية للصحراء [6] .

---

[1] مبخوت بوداوية ، مرجع سابق ،ص ، ص 332 ، 333.

[2] **اللمط** : وهو حيوان عى قدر عجل او اقل منه طويل العنق له أذنان كأذنا الماعز وفي رأسه قرون طويلة أنظر ، جميلة بن موسى ، مرجع سابق ، ص 179 ، يذكره البكري فيقول " ومما في هذه الصحراء من حيوان اللمط وهو دابة دون البقر ولها قرون دقاق حادة لذكرانها انظر البكري ، مصدر سابق ، ص 171.

[3] جميلة بن موسى ، مرجع سابق ، ص 179

[4] الهادي المبروك الدالي ،التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، مرجع سابق ، ص 323.

[5] مبخوت بوداوية ، مرجع سابق ،332

[6] محمد فاضل ،سعيد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص 35 .

وصل الإسلام إلى السودان الغربي في وقت مبكر جدا يعود إلى أواخر القرن السابع ومطلع الثامن ميلادي، وابتداء من القرن الحادي عشر، أصبح إقليما إسلاميا ، و جزءا من العالم الإسلامي خاصة بالنسبة لبلدان الشمال الإفريقي ، انتشر الإسلام في المجتمعات السودانية بسرعة فائقة وتغلغله بين مختلف الفئات الحاكمة والمحكومة بسهولة ويسر وعن اقتناع بفضل سماحة مبادئه التي عالجت مشاكلها وحلت الكثير من المعضلات الإقتصادية والإجتماعية والفكرية وحررتها من العبودية والطغيان وعبادة الأوثان وقد أحدث الإسلام انقلابا كليا في الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية الثقافية وفتح أمامها آفاقا واسعة، ومشرقة لم يكن لها عهد بها قبل ذلك ،مع انتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية و آدابها واستعملها الأفارقة في الفكر و الثقافة والتربية والتعليم وفي التخاطب والمعاملات الإقتصادية و الإجتماعية واتخذوها وسيلة للإبداع الفكري، فتحولت بالتدرج الى أداة للعمل الحضاري في أوسع مجالات ، وبسبب انتشار اللغة العربية تشبع العلماء السودانيون بالفكر و الثقافة العربية الاسلامية ، واستوعبوها بعمق وكثافة واهتموا بنقل الكتب والمخططات العربية الفقهية ، واللغوية وشرحها ، والتعليق عليها ، بتحفيظ القران الكريم للاطفال ، وشرحه وتفسيره ، للكبار في المساجد الكبرى التي أقاموها في المدن الكبرى أمثال : جني ، تمبكتو وجاو [1] .

يعتبر عهد حكم آل اسكيا إمبراطورية سنغاي الإسلامية الذي استمر قرنا من الزمن أزهى عصور انتشار الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي ، كما كان عهدهم يمثل المرحلة التي بلغ فيها انتشار الإسلام واستقراره عصره الذهبي بصفة لم يسبق لها مثيل فكان الأسكيا محمد الذي حكم سنغاي (1493 – 1528) شديد التعظيم لأئمة الدين والعلم مكرما لهم غاية التكريم ، فقط أحب العلماء وطلاب العلم ، فكان العلماء في عهده في حركة دائبة بين المغرب والمراكز الثقافية في السودان .

ولقد توافد في هذا العهد على بلاد السودان جم غفير من علماء المغرب

قد ساعدت امكانيات البلاد الهائلة وظروف التجار المربحة على تظافر جهود ملوك آل اسكيا المباركة في اشاعة المعرفة، وكان للطلبة السودانيين من همة عالية وتجلد في سبيل العلم و تحصيله من مراكزه الأصلية كل ذلك ساعد على جلب عدد كبير من ذوي العلم والثقافة إلى بلاد السودان الغربي في هذا

[1] يحي بو عزيز ،مرجع سابق ، ص ، ص 151 ،152.

العهد ، وكان أبرز العلماء الذين استقدموا من المغرب إلى سنغاي [1] محمد بن عبد الكريم المغيلي[2] الذي جاب بلاد السودان في عهد الحاج محمد الاسكيا سلطان سنغاي فاتخذه مستشارا له

لقد كان المغيلي من مثقفي عصره النشطين ، وله شخصية قوية استطاع بواسطتها التأثير على الناس في السودان و أصبح اسمه مقرونا لديهم بكلمة امام [3]

وما يميز الإمام المغيلي عن غيره سعة علمه وعقليته المنطقية مما جعله آية في العلم

يعتبر المغيلي أكبر داعية إسلامي عرفه الغرب الإفريقي خلال القرن التاسع هجري فالعلم كان سلاحه في نشر منهجه الفكري الإصلاحي الرامي إلى تصحيح المفاهيم ، سواء على مستوى العامة أو الحكام والسلاطين [4]

ارتبط سلاطين بني زيان بعلاقات ودية مع سلاطين ممالك السودان الغربي فكانوا يتبادلون الهدايا والرسائل وكانت العلاقات متصلة عبر الدروب والمسالك الصحراوية فكان الطلاب السودان الغربي يفدون إلى تلمسان لتلقي العلم في مدارسها المشهورة ومعاهدها الدينية التي بذل لها السلاطين الكثير من الرعاية وحسن اختيار الاساتذة والعاملين بها[5].

❖ أساليب انتشار الإسلام في السودان الغربي :

انتشر الإسلام في غرب إفريقيا بعدة أساليب ، وطرق قل ما نجدها مجتمعة في مناطق أخرى دخلها الدين الحنيف ، أما غرب إفريقيا قد اجتمعت عدة طرق دخل بواسطتها الإسلام إلى تلك المنطقة وهذه الطرق والأساليب نوجزها في الآتي :

- **الدعاة :**

مما عمل على نشر الإسلام في غرب إفريقيا هم الدعاة الذين لا يخلو منهم وقت فكان السلوك الطيب لهؤلاء الدعاة هو من يجلب الناس إلى اعتناق هذا الدين الحنيف[6].

---

[1] ابو بكر اسماعيل ميقا ،الحركة العلمية الثقافية و الاصلاحية في السودان الغربي من 400 هـ الى 1100 ،ط1 ،مكتبة التوبة الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1997 ، ص – ص 38 – 42.

[2] **المغيلي** : نسبة الى قبيلة مغيلية بأحواز تلمسان حفظ القرآن الكريم في صغره ، ثم اعتكف على دراسة العلوم العربية و الاسلامية وعندما توسعت مداركه ومعارفه وتزود بما يكفيه للتدريس كشيخ و أستاذ فتتلمذ على يده عدد لابأس به من العلماء و الشيوخ ، أنظر ، يحي بو عزيز ، مرجع سابق ، ص64.

[3] محمد بن عبد الكريم المغيلي ، اسئلة واجوبة المغيلي ، تح عبد القادر زبادية ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص 10.

[4] محمد الصديق بن صالح ،العلاقات الفكرية و الثقافية بين المغرب الاوسط و السودان الغربي ما بين القرنين (7 – 9 هـ /13 – 15 م) مذكرة لنيل شهادة : ماجستير تخصص تاريخ وسيط ، اشراف : مفتاح خلفات ،كلية العلوم الانسانية ، قسم تاريخ ، جامعة محمد بو ضياف المسيلة ، الجزائر ، 2016/2015 ص – ص 108-117 ، منشورة .

[5] عبد الفتاح الغنيمي ، مرجع سابق ، ص، ص 169، 170 .

[6] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص ، ص 37 ، 38.

والمقصود بالدعاة هم الأفراد الذين تلقوا قدرا من العلوم الدينية التي تأهلهم لهذا العمل وعلى راسهم الفقهاء والعلماء والمشايخ والقراء والقضاة ، وقد امتدوا بالدعوة الإسلامية نحو القارة الإفريقية، فعبروا الصحراء وحملوا معهم فكرة المذاهب المنتشرة في الشمال وكانت كل قرية تقيم دارا لاستقبالهم وكان الحكام والملوك الأفارقة سواء كانوا مسلمين أو وثنيين يعاملونهم بالإحترام كبير وكانوا يتخذون منهم مستشارين و وزراء يصرفون لهم أمور الدولة ، وكان الدعاة يتطوعون للدعوة وينفقون في سبيل نشرها من مالهم الخاص ، فينتشرون في أنحاء إفريقيا جنوب الصحراء فيستعملون مختلف الوسائل الممكنة لإنجاح دعوتهم ، كما كان يتفرغون بالدعوة والتعليم فيجمعون حولهم عددا من الأطفال والشباب ، وقد اعتمد انتشار الإسلام في افريقيا على الإقناع الذي قام به دعاة لا يملكون لاحول ولا قوه إلا ايمانهم العميق بدينهم[1].

استقدم منسى موسى العلماء والدعاة عند قيامه برحلة الحج فأحضر معه علماء من الحجاز نذكر منهم القاضي ابا العباس الدكالي والقاضي عبد الرحمن التميمي [2] .

ويظهر أحد دعاة الإسلام الذين بعثوا إلى السودان و كان بلا شك أستاذ مثقفا ورعا كان من تلمسان وذلك هو محمد ابن عبد الكريم بن محمد المغيلي [3] ، الذي نشر الإسلام في أرض الهوسا[4].

ومما ساعد على إنتشار الإسلام بين سكان السودان عموما هو إعتناق بعض ملوكهم الدين الإسلامي والذين يتحولون تلقائيا إلى دعاة للإسلام في بلادهم ومن هؤلاء ملك مالي وملك التكرور وملك سلى فقد نشر الإسلام بين شعوبهم من التكرور ، السوننك [5] و الماندنجو وغيرهم ، وهكذا كان للدعاة فضل كبير في نشر الإسلام وثقافته في بلاد السودان [6]

- **التجار :**

[1] عبد الله سالم بازينة ، مرجع سابق ، ص ، ص 171، 172 .

[2] ابو بكر اسماعيل ميقا ، مرجع سابق ، ص ، ص 32 ، 33 .

[3] توماس ارنولد الدعوة إلى الاسلام (بحث في تاريخ العقيدة الاسلامية) تر: حسن ابراهيم حسن وأخرون ، د ط ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،مصر ، 1971 ، ص 357.

[4] رجب محمد عبد الحليم ، المسلمون في افريقيا جنوب الصحراء ، د ط ، السفير، القاهرة ، مصر ، 1996 ، ص 8.

[5] **السوننك**: هي احد فروع قبيلة الماندينغ الزنجية التي تعتبر اكبر قبائل غرب افريقيا واكثرها انتشارا ويعتبر السوننكي الحجر الاساس في سكان مملكه غانة ، أنظر ، محمد فاضل و سعيد ابراهيم ، مرجع سابق ، 60 .

[6] رجب محمد عبد الحليم مرجع سابق ، ص ص 7 8 .

لعبت التجارة في غرب إفريقيا دورا هامة في خدمة الإسلام ، وهذا يدل على صلة إنتشار الإسلام بها فإذا برزت مدينة تجارية كان يؤمها البائع والمشتري وسرعان ما تصبح مركزا ثقافيا يؤمها المعلم والمريد حتى أصبح هذا الشائع وللتجار المسلمين الدور الجليل في إنتشار الإسلام في تلك البقاع (غرب افريقيا) [1] .

و قد كان بعض التجار يجمع بين التجارة والتعليم فيتحول الواحد منهم من دكانه في الليل إلى مكتب لتعليم الأطفال المسلمين والوثنيين[2] .

كان للتجار الدور الأول في نشر الإسلام في القارة الإفريقية بعد الدعاة فالتجارة والدعوة إلى الإسلام مرتبطتان ، تدفق الإسلام عبر الطرق التجارية الموصلة بين مختلف أنحاء القارة [3] .

قام التجار المسلمون بأدوار واسعة في خدمة الإسلام ونشره دورا عاد على الإسلام بالخير وعاد على التجار بالنماء و البركة فنمت تجارتهم وازدهرت في ظل الإسلام وتضاعفت أرباحهم في كنفه ولهذا النشاط التجاري الواسع الذي ساد شمال إفريقيا ووسطها شرقها وغربها وما نتج عنه من انتشار الإسلام والثقافة الاسلامية [4] .

كان لشركة آل مقري التجارية دور كبير في تنشيط الحركة التجارية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي وذلك بفضل استثماراتها في تجارة الكتب والمؤلفات ونقلها للعلماء في مختلف قوافلهم ، وقد أشاد صاحب نفح الطيب بالخزانة – المكتبة – الكبيره التي ورثها عن أجداده حين قال " ... ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب كثيرة تعين عن الطلب " [5]

- **الحجاج :**

نتيجة للنشاط التجاري الواسع الذي ساد شمال الصحراء الكبرى ووسطها وغربها وشرقها وما نتج عنه من انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية ، نشطت قوافل الحج التي كانت في الوقت نفسه قوافل للتجارة التي كان يمارسها الحجاج طوال طريقهم إلى الأراضي المقدسة ، وقوافل لتحصيل العلم عن طريق الإلتقاء بعلماء البلدان التي يمرون بها ،فكانت تخرج من غرب القاره قوافل عديدة على رأسها ملوك هذه البلدان

[1] محمد فاضل و سعيد ابراهيم ،مرجع سابق ، ص ، ص 38، 39 .
[2] عبد الله سالم زباينة ، مرجع سابق ، 153 .
[3] رجب محمد عبد الحليم ، مرجع سابق ، ص 9 .
[4] عبد الله سالم زباينة ، مرجع سابق ، 156 .
[5] هوارية بكاي ، شركة ال مقري التجارية ودورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الاوسط والسودان الغربي ، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية ، العدد 04 ،(د س ن) ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، ص 172 .

الذين كانوا يحرسون كل الحرص على أداء هذه الفريضة (الحج) رغم ما كان يتكبدونه من مشاق ومتاعب [1] .

قام منسى موسى برحلة إلى البقاع المقدسة فكانت رحلة مميزة والتي لفتت أنظار العالم في ذلك الزمن من ثروة مملكة مالي الطائلة فقد أخذ معه في رحلته للحج كميات هائلة من الذهب تقدر ب مائة جمل واصطحب معه الوزراء والعلماء والقادة والأتباع ، وقد مر منسى موسى في طريق ذهابه إلى الحج بمدينة ولاته ثم توات وغدامس وسرت وبرقة في ليبيا ثم الإسكندرية في القاهرة كان ذلك في (724 هـ / 1324 م)، وفي الحجاز ادى منسى موسى فريضة الحج وفي طريق عودته أقام فترة من الزمن بالقاهرة واشترى فيها العديد من الكتب الإسلامية التي تتناول الحديث عن المذهب المالكي وهو المذهب المنتشر في البلاد .

كما قام منسى موسى بإصطحاب الفقهاء والدعاة إلى مالي ، فقد التقى في طريق عودته بالفقيه ابي عبد الله الكومي الموحدي في غدامس فاصطحبه معه إلى مالي [2] .

- **الهجرات :**

انتشر الإسلام في غرب إفريقيا بفضل هجرات القبائل العربية و القبائل البربرية التي أخذت تهاجر إلى غرب القارة وتبسط نفوذها ودينها الإسلامي هناك خصوصا بني هلال وبني سليم [3] في أعداد كبيرة وانتشروا في بلاد الصحراء بالحرب والهجرة والإقامة الدائمة والتصاهر، فعربوا أهل البلاد الأصليين ، فانتشرت بينهم اللغة العربية وأصبحت لسانهم وغدت هذه البلدان بلدان عربية إسلامية ثم انطلقت منهم هجرات إسلامية لكنها كانت قليلة العدد واتجهت جنوبا إلى الصحراء الكبرى [4] ، باحثة عن ظروف تشابه الحياة السائدة في بيئتها الأصلية في الجزيرة العربية وترتب على هذا التحرك وتلك الهجرات أن اضطرت القبائل المحلية من البربر والزنوج إلى التوسع جنوبا بعد اعتناقها الدين الإسلامي ، فتحركت قبيلة جدالة جنوبا وعبرت نهر النيجر في طريقها للسودان الغربي وكانت هذه القبائل حلقة اتصال بين المغرب بشعوبه وثقافته والمحيط الزنجي الذي يمتد حتى بحيرة تشاد[5] .

---

[1] رجب محمد عبد الحليم ، مرجع سابق ، ص 12.

[2] محمد فاضل ، سعيد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص، ص 83 ، 84 .

[3] نفسة ، ص 47 .

[4] عبد الله سالم بازينة ، مرجع سابق ، ص 102 .

[5] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ، مرجع سابق ص 47 .

فكان لهذه الهجرات أثر كبير في نشر الإسلام ولغته وثقافته وإقامة السلطنات كما كان لهجرات البربر أيضا أثر عظيم جدا في نشر الإسلام وخصوصا في غربها ، تسببت غارات الهلاليين في هجرات قبائل كثيرة من البربر إلى منطقة الصحراء ثم توغل إلى الجنوب الى منطقه والنيجر ومن هذه القبائل (هراة ، لواتة ، نفزاوة) وهكذا إختلط البربر بالزنوج والعرب [1] .

- **الطريقة القادرية :**

كان للطرق الصوفية أثر بالغ في نشر الإسلام في السودان الغربي وذلك من خلال إنتشار الزوايا والمساجد وإستقبال المريدين لتمكينهم من مبادئ الإسلام فنجد الطريقة القادرية وسميت بهذا الإسم نسبة إلى عبد القادر الجيلاني يقال أنه أشهر أولياء المسلمين كافة و أعظمهم هيبة [2]، الذي تلقى تعليمه على يد عدد من أبرز العلماء والمحدثين في أيامه بدأ عبد القادر الجيلاني طريقه في الوعظ والارشاد وهو في سن الخامس عشر من عمره .

تعتبر الطريقة القادرية من أقرب الطرق الصوفية إلى مذهب أهل السنة والجماعة وقد انتشرت إنتشارا واسعا في كل البلدان الإسلامية أما في إفريقيا جنوب الصحراء فإن للطريقة القادرية ولرجالاتها دورا كبير في نشر الإسلام بين الأفارقة والعمل على تثبيت دعائمه ووجوده [3] .

تعد طائفة هذه الطريقة من أوسع الطرق الصوفية إنتشار ، وقد دخلت إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر ميلادي على أيدي مهاجرين من توات ، واتخذوا من ولاته أول مركز لطريقتهم ، ثم لجئوا إلى تمبكتو ومالي ولم يكتفي أتباع القادرية بما عرف على الطرق الصوفية من حلقات الذكر بل اتبعوا أساليب مختلفة في نشر الدعوة الإسلامية قربتهم من الجماهير ، وكان أول من نشر القادرية في بلاد السودان الغربي هو الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي اتجه بجهوده إلى الجزء الأوسط من الصحراء الكبرى وشمال نيجيريا ثم سيدي احمد البكاء الكنتي في القرن الخامس عشر ميلادي الذي عمل على نشر دعوته في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى ، ثم انتشرت القادرية على يد الشيخ المختار الكنتي [4] .

---

[1] عبد الله سالم بازينة ، مرجع سابق ، ص ،ص 102، 103.

[2] توماس ارنولد ، مرجع سابق ، ص 265 .

[3] عبد القادر زبادية ، مرجع سابق ، ص – ص 229 -231 .

[4] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص 44 .

كان نشاط القادرية في الدعوة ذا طابع إسلامي يعتمد على الإرشاد ، وان يكون واحد منهم قدوة لغيره ، وبهذه السيرة برهن دعاة القادرية على أنهم أوفياء لمبادئ مؤسس الجماعة الذي اوصى تلاميذه بهذا السلوك السمح [1] .

ساهمت الزوايا في نشر الثقافة الاسلامية في بلاد السودان الغربي ، ولقد مثلت الزوايا مركز إشعاع حضاري التي كان لها نفس الدور الذي تقوم به المساجد والمدارس في نشر العلم والتربية هذه الأخيرة أنشأها رجال الطرق الصوفية الذين عملوا على نشر الإسلام في المواطن والأقطار البعيدة عبر أقاليم الصحراء والممالك السودانية الوثنية ولقد وصلت عن طريق علماء توات الذين اشتهروا بكثرة بنائهم للزوايا ، فكانت هذه الزوايا مناره للعبادة والتعليم ومراكز لإيواء الطلبة ونزول المسافرين ومساعدة الفقراء وأبناء السبيل [2] .

لعبت الطرق الصوفية في غرب إفريقيا دورا رياديا في نشر الإسلام وتصحيح العقيدة بعد أن مارس السكان بعض العادات الوثنية التي اختلطت بالمثل والقيم الإسلامية ، وصار من الضروري ظهور رجال الاصلاح و التجديد ليؤسسوا مجتمعات إسلامية تتخذ من الشريعة الغراء منهاج وسبلا للحكم [3] .

[1] عبد الله سالم زباينة ، مرجع سابق ،ص 205 .

[1] ، محمد الصديق بن صالح ، مرجع سابق ، ص 89 .

[3] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص 42 .

خلاصة :

كان لهذه الطرق أدوارا حضارية تمثلت في نشر الإسلام وكذا تحقيق الربح وتنشيط الإقتصاد و هنا يكمن دورها الإقتصادي والتجاري بين الشمال والجنوب

و هذا بسبب الحركة التجارية النشطة التي جابت الصحراء فنتج عنها إنشاء مدن كانت نتاجا للحركة الدؤوبة للتجار فكونوا محطات للإستراحة وسرعان ما أصبحت أسواقا ثم ما فتأت أن أصبحت مراكز تجارية و ثقافية وعلمية في السودان الغربي والتي حققت نجاحا منقطع النظير وهذا بسبب جهود العلماء والتجار والملوك لتوطيد هذه النهضة وازدهارها .

الفصل الثالث : أثر الطرق والمسالك في السودان الغربي

تمهيد :

1. ثقـافيا

2. اجتماعيا

3. عمرانيا

4. اقتصاديا

خلاصة الفصل :

تمهيد :

تأثرت منطقه السودان الغربي بالحضارة العربية الاسلامية التي شقت طريقها الى غرب افريقيا في وقت مبكر وذلك منذ ولوج العرب لشمال افريقيا فأخذت حضارتهم تنتشر وتتسرب الى المناطق الصحراوية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى وكان المغرب الاوسط دور كبير في نقل التأثيرات الحضارية الى ممالك السودان الغربي .

لم تكن الصحراء الكبرى حاجزا لتدفق مظاهر الحضارة من شمال القارة الافريقية وجنوبها وغربها يوما من الايام بل كانت المؤثرات الثقافية والفكرية تتسرب من الشمال الافريقي الى السودان الغربي والاوسط فلم يشمل هذا التأثير الجانب الثقافي فقط بل تعداه الى جوانب اخرى سنتناولها في هذه الدراسة

❖ أثر الطرق التجارية والمسالك على السودان الغربي

1 ثقافيا :

ان تاريخ الدعوة الاسلامية في بلاد السودان الغربي هو نفسه السجل الحضاري الناضج لهذه البلاد في الدعوة الاسلامية افتتحت لنفسها صفحات التاريخ الناصعة وصارت في موكب الحضارة الانسانية وارتبطت بالعالم الاسلامي من حولها بعد ان اخرجت انسانها من الغابة ومؤانسة الوحوش الى رحلة الحجيج ومراكز الثقافة والعلم التي يرى فينا الناس النور [1] .

ظهرت بعض المدن في هذه الفترة كمراكز للاشعاع الثقافي والعلمي ، مثل أودغست و تمبكتو وغاو وغيرها، فإزدهرت الحركة العلمية و الثقافية في مدينة غاو خلال القرن الرابع عشر ، الخامس عشر والسادس عشر أيام حكم آل اسكيا بمملكة سنغاي ، وقد اتخذوا العلماء والفقهاء المساجد في غاو ومدارس لتدريس القرآن الكريم وحفظه وتدريس سائر العلوم يفقهون الناس في دينهم ، أما تمبكتو فكانت مركزا علميا إقتصاديا ذائع الصيت بين مدن السودان وبرزت فيها دور العلم والعبادة وشيدت فيها المساجد والجوامع التي اصبحت جامعات اسلامية ومعاهد علمية تضم المتشوقين للعلم من الطلبة والعلماء الذين يفدون اليها من كل مكان من العالم الاسلامي ، ووقفت هذه المدينة على قدم المساواة مع العواصم الاسلامية في المغرب ومصر والحجاز وبغداد والاندلس في مجال العلم و الثقافة الاسلامية [2] ظلت تمبكتو منارة العلم والعلوم الاسلامية لها الاثر البعيد في نشر الاسلام وفي الرقي الحضاري زهاء قرنين من الزمان فكانت المدينة زاخرة بالعلوم يؤمها العلماء الطلاب من شتى انحاء العالم الاسلامي وترعرع الدين في مساجدها وأصبحت مجمعة العلماء من كل حدب وصوب ، فغدت مركزا للتعليم الاسلامي من حيث أصبحت مركزا مهما للمكتبات وللتأليف ونسخ الكتب وكانت تلك المكتبات مفتوحة لاطلاع الطلاب والراغبين في العلم كما اشتهرت تمبكتو بعدد كبير من المكتبات المملوكة لعلمائها [3]

[1] محمد فاضل ، سعيد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص 54

[2] أبو بكر اسماعيل ميقا ، مرجع سابق ، ص – ص 48- 53 .

[3] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ، مرجع سابق ص 101 .

حرص سلاطين وملوك السودان الغربي على ارساء قواعد نهضة ثقافية اسلامية مزدهرة في بلادهم وذلك بإيفاد [1] طلاب العلم الى حاضرة تلمسان في عهد بني زيان لكي يتعلم في مدارس ومعاهد الدولة الزيانية التي كانت توفر سبل المعيشة لطلاب الدراسة [2] فتألق نجم كثيرا من اولئك الطلاب، ثم بدا ظهور الانتاج والعطاء والتبادل الثقافي في سنغاي والعالم الخارجي وهذا الطور بدأ من 1530 م وبلغ ذروته خلال الفترة الممتدة ما بين و1583 - 1591 م ، ففي خلال هذه الفترة ازدهر العلم و اشتهر كثير من علماء السودان الغربي بالعلم والف الكثير منهم عدة شروح في الفقه والمنطق والعروض[3] .

مثلت المراكز الثقافية بالسودان الغربي إبان القرنين الرابع عشر و الخامس عشر وحتى بداية القرن السادس عشر ميلادي مراكز تشع منها الثقافة العربية الاسلامية وهذه المراكز هي المدن التي كثرت بها المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس العليا او كانت مقرا للدعوة الاسلامية وفي مقدمتها تومبكتو وجني وغاو (كاغو) [4].

فاشتهرت المدن في امبراطورية مالي الاسلامية في عهده (منسى موسى) بالعلم واصبحت مركز اشعاع ثقافة يؤمه الطلبة العلم والعلماء من كل مكان كمدينه اودغست ، تمبكتو ، مالي،غاو ،جني و ايولاتن ، فازدهر التعليم و الثقافة في مساجدها ومعاهدها وغدت محجة العلماء والفقراء في بلدان العالم الاسلامي ، فقد كانت امنة رخية ، سخية بالخيرات تضفي على العلماء والفقهاء ما يريدونه من الرفاهية و السكينة وأمن وسلام [5]

كان منسى موسى ملم باللغة العربية محبا للعلم فإهتم بتعاليم الإسلام فبنى العديد من المساجد والمكتبات الإسلامية وخاصة في تمبكتو حيث انشئ جامعة سنكوري[6] ، إنفتحت هذه الجامعة على العديد من مراكز العلم في الاندلس والشمال الافريقي في فاس ومراكش وبجاية .... حيث ان التشابه كان واضح بينها وبين باقي الجامعات في الشمال [7]

[1] ابو بكر اسماعيل ميقا ، مرجع سابق ، ص24 .
[2] عبد الفتاح الغينمي ، مرجع سابق ، ص 171 .
[3] ابو بكر اسماعيل ميقا ، مرجع سابق ،ص - ص25- 44 .
[4] بوداوية مبخوت ، مرجع سابق ، ص 190 .
[5] ابو بكر اسماعيل ميقا ، مرجع سابق ، ص 34 .
[6] نفسه ، ص 82 .
[7] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ، مرجع سابق ص 105 .

اما جامع سنكرى فقد بناها امراة واحدة اغلالية ذات مال كثيرا في افعال البر"[1] ، كان هذا الجامع يتصدر منارات العلم والعبادة ، وقد بلغ اوج ازدهاره في عهد امبراطورية سنغاي من زمن الاسكيا الحاج محمد الكبير وقد ارتفع شأنه بما بلغه من مستوى علمي راقي و أضفى على مدينة تمبكتو طابعا مميزا حيث جعلها عاصمة من عواصم الدين والعلم والادب في مناطق السودان خاصة والعالم الاسلامي عامة

حققت هذه المساجد اهدافها العلمية والثقافية والتربوية فتخرج منها القضاة والعلماء والادباء والمؤرخين امثال اسرة كعت والقاضي العاقب وعلماء وفقهاء اسرة آل آسكيا والمؤرخ السعدي صاحب مؤلف تاريخ السودان واحمد بابا صاحب نيل الابتهاج والقاضي كعت صاحب تاريخ الفتاش وغيرهم كثيرون .

اما جني فهي تعد أقدم مركز ثقافي في السودان الغربي حيث يعود الفضل في ازدهارها ثقافيا الى علماء المغرب الاسلامي ومصر الى جانب علماء السودان ، ولقد اشتهرت مدينة جني بمسجدها الذي بناه احد المغاربة يدعى معلوم ادريس وكان معاصرا للساحلي ، اصبح هذا المسجد مركزا لامعا للتعليم فكانت هذه المدينة جامعية كونها مهد القاضي محمود ابن ابي بكر باغا يوغو والد العالمين الجميلين محمد واحمد الذين كانا لهما الفضل في ترسيخ الثقافة الاسلامية في بلاد السودان ،اما غاو فكانت مركز ثقافيا حقيقيا وكان المسجد الجامع بمثابة مركز التعليم [2]

اما المدارس فكانت تعبيرا عن الاشعاع العلمي النابع من الحواضر العلمية كولاته و كومبي صالح وجني وغاو، فتمبكتو مثلا اشتهرت فيها مدرسة شيدت سنة 1325م حاولت من خلالها الاقتداء بتلمسان وفاس والازهر في أساليب التعليم وقد عمل أهل السودان على محاكاة المغرب الاوسط في إنشاء المدارس وصار النموذج المغربي في طريقة التدريس هو الذي يسود المدارس في السودان الغربي ، وهذا بسبب إرتحال علماء المغرب الاوسط الى السودان الغربي وإشتغالهم بتعليم العلوم او قيام السودانيين أنفسهم بالذهاب الى بلاد المغرب الاوسط وغيره من أقطار المغرب والتلقي من علماء المغرب ومجالستهم والأخذ عنهم [3] .

[1] السعدي ، مصدر سابق ، ص 62 .

[2] بوداوية مبخوت مرجع سابق ، ص – ص 192 - 199 .

[3] محمد الصديق بن صالح مرجع سابق، ص 89 .

وبسبب النهضة العلمية والأدبية والفكرية والاسلامية في تلمسان في عهد بني زيان شدت إنتباه أبناء السودان الأوسط والغربي فشد الرحال الى تلمسان نهلا من فكرها وعطائها العلم الفياض الذي تخصص له جهابذة الفكر المالكي والعلمي[1] .

2 اجتماعيا :

كان أثر الإسلام في مجتمع السوداني عميقا ، فقد غير عادات هؤلاء السكان بل ومظهرهم وطريقة تفكيرهم وخلق ثقافة اسلامية افريقية ، كما أثرت تلقائيا في عادات وتقاليد هذه المنطقة ، إذ كان أفراد هذه القبائل يسيرون عراة ولا تستروا العورة عندهم الا بعد الزواج، اما بعد اسلامهم أخذوا يسترون عوراتهم ، وبدا العري يختفي تدريجيا بين القبائل التي إعتنقت الاسلام ، إضافة الى تنظيم عادات الزواج إذ كان يشوب الزواج في القبائل الافريقية عادات وتقاليد غريبة فقام الإسلام بتهذيبها، واعطاء المراة حرية اختيار الزوج كما ينظم العلاقة بين الزوجين وحدد عدد الزوجات [2] .

لقد كان التأثر واضحا من حيث الهندام لدى الطبقة الحاكمة وعامة الناس فقد كان هذا التأثر جليا من خلال مظهرهم ، فهم يلبسون عمائم بحنك مثل الغرب وقماشهم بياض من ثياب قطن تنسج عندهم في نهاية الرقة واللطف تسمى كمصيا ولبسهم شبيه بلبس المغاربة ، جباب و دراريع بلا تفريج [3] .

إستعمل السودانيون الالبسة العربية والاسلامية من حيث الشكل واللون الأبيض غالبا ، مثل العمامة والجبة بالسروال الفضفاضين الملائمين المناخ الصحراوي وما تزال هذه الالبسة مستعملة في معظم بلدان السودان الغربي [4]

وكانو يلبسون الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة [5] .

حيث يقول البكري" يلبس سائر الناس ملاحف القطن والحرير والدباج على حسب احوالهم كما يلبسون ثياب المصبغة بالحمرة من القطن والنولي وغير ذلك وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميص أصفر وسراويل زرقاء[6] .

---

[1] عبد الفتاح الغنيمي ، مرجع السابق ، 171 .

[2] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص 51

[3] القلقشندي ، مصدر سابق ، ص 299 .

[4] يحي بو عزيز مرجع سابق ص 154 .

[5] ابو بكر اسماعيل ميقا ، مرجع سابق ، 35 .

[6] البكري : مصدر سابق ، ص 181 .

وقد حدث تزاوج بين السكان الأصليين وهؤلاء القادمين عليهم حيث صار القادمون من الشمال الافريقي أمراء وحكام مالي وكذلك عامة الشعب لدرجة انهم انصهروا انصهارا كاملا في المجتمع ، الامر الذي يؤكد روح التلاحم بين أهل تمبكتو الاصلي وجيرانهم الشمال الافريقي [1] .

أما بالنسبة للزواج فكان محصورا في داخل العشيرة حفاظا على تماسكها ، والرجل في السودان الغربي كان يسمى بإسمه ثم باسم عائلة امه ،أو قبيلتها والنظام العائلي سيطرت عليه، حيث نجد ان القاعدة المتبعة هي الوراثة من ناحية الأمومة حيث يقول البكري "أن الملك لا يكون الا لابن أخت الملك لأنه لا يشك فيه لأنه ابن اخته وهو يشك في إبنه ولا يقطع على صحة اتصاله به " [2] .

ومن عاداتهم الذميمة ظهور الفتيات عاريات لا يسترن وهن يحملن الطعام الى قصر السلطان ليلة السابع والعشرون من رمضان ، كما إن من عاداتهم يأكلون الجيف والكلاب و الحمير ، وإذا مات أحد من عامة الناس ،أو الفقراء فإنه لا يدفن إلا من هو من ذوي الهيبة وأمام هذه العادات الشائنة التي كانت عليها ممالك السودان ، يبدو أن تعاليم العقيدة الإسلامية لن تضرب بجذور عميقة في نفوس الرعية ، وحتى الحكام في العديد من الأمور وهذا ما أكده السلطان منسى موسى عند زيارته للقاهرة في طريقه إلى الحج حيث انتقد في العديد من الأفعال الغير الإسلامية فأجاب إنه لا يعلم بذلك في الشريعة[3]

ويقول القلقشندي " على قاعدة العجم في تمليك البنت وابن البنت" [4] وهي قاعدة استفاد منها العرب الذين هاجروا أو الذين تاجروا مع مالي وغيرها إذ تولى أبنائهم من زوجاتهم الوطنيات مقاليد الأمور [5] .

يضاف الى ذلك ان الاسلام نظمه في الزواج ونظام الاسرة ، اذ جعل الرجل هو المسؤول الاول عن الاسرة لا المرأة كما كان الشأن عند الكثير من القبائل الافريقية ، فصار الأبناء ينسبون لأبائهم وليس لأمهاتهم ، كما حدد عدد الزوجات في أربعة فقط وليس كما كان الحال عندما كان الرجال يختلطون بالنساء اختلاطا جماعيا زد على ذلك أن الإسلام علمهم النظافة فأخذ الأهالي الذين لم يتعودوا من قبل

[1] الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الاسلامية وعلاقتها بالمغرب وليبيا ، مصدر سابق ، ص 93 .
[2] البكري ، مصدر سابق ص 175 .
[3] الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الاسلامية وعلاقتها بالمغرب وليبيا ، مصدر سابق ، ص 80 .
[4] القلقشندي ، مصدر سابق ، ص 294 .
[5] الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الاسلامية وعلاقتها بالمغرب وليبيا ، مصدر سابق ، ص 78 .

على النظافه يغتسلون ويتنظفون لأن إقامة الشعائر الدينية والإسلامية لا تصح إلا بطهارة البدن والملبس والمكان.

وبدخول الاسلام خلصهم من عادات سيئة كثيرة من عري وأكل لحوم البشر ودفن الجواري والزوجات مع الملك المتوفي ووأد الاطفال أحياء وكان هؤلاء الاطفال يوؤدون لا لشيء إلا لأنهم ولدوا مشوهين أو ولدوا وبهم مس من الشيطان كما يعتقد آبائهم أو لأن أسنانهم العليا ظهرت أولا وهو فعل سيء عنده فكانت بعض القبائل تترك هؤلاء الأطفال في الغابة تخلصا منهم ولكن الإسلام عدل هذه العادة بين المسلمين الأفارقة [1]

3 عمرانيا :

شهد السودان الغربي بدخول الإسلام نشاطا عمرانيا ملحوظا تنوعت فيه الإتجاهات العمرانية فشملت المباني الدينية والثقافية

وقد إهتم أمراء السودان الغربي في نشاطهم العمراني حيث اشتهر السلطان منسى موسى بكثرة بنائه للمساجد فمن عادته كما يقول السعدي أنه كان يبني مسجدا في كل مدينة تدركه صلاة الجمعة بها [2] قام منسى موسى بعد رحلته من الحج باستقدام المهندس المعماري ابي إسحاق الساحلي الشاعرالأندلسي وكان قد تعرف عليه بمكة خلال حجه ودعاه الى بلاده صحبه معه في عودته ، وهذا الأخير هو الذي أدخل هندسة البناء وزخرفته في بلاد السودان، فقد بنى لمنسى موسى مسجد بمدينة غاو بعد عودته من الحج عام 1325 ميلادي بناه له من الطوب المحروق وجعل مئذنته هرمية الشكل وهذا اول بناء من هذا الطراز في بلاد السودان كما بنى له مسجد الجامع الكبير في مدينه تمبكتو[3]

حيث بنيت المساجد على الطراز المغربي فنجد الجامع الكبير المعروف بجيكري بيري ومعناها المسجد الكبير وقد بناه أبو اسحاق الساحلي وعبد الله الكومي الموحدي الغدامسي على الطراز المغربي الأندلسي وبنى صومعته على خمسة صفوف وكان ذلك أوائل القرن (8 هـ /14 م)[4] ، فكان صغيرا في

[1] رجب محمد عبد الحليم ، مرجع سابق ، ص ، ص 106 ، 107.

[2] خالدي مسعود ، ابو اسحاق ابراهيم الساحلي الاديب والمهندس المعماري واثره في نشر فن العمارة الاسلامية في السودان الغربي ، مجلة كان التاريخية ، ع 37 ، 2017 ، جامعة 8 ماي 1945 ، الجزائر ، ص134 .

[3] أبو بكراسماعيل ميقا ، مرجع سابق ، ص 32 .

[4] خالدي مسعود ،مرجع سابق ، ص 135 .

بدايته ثم تطور ، وهو أول مسجد بني في تمبكتو ، وقام على بنائه منسى موسى حاكم مملكة مالي الإسلامية أوائل القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي بعد رجوعه من الأراضي المقدسة [1]

فبنوا مسجد الجامع على حسب الأمكان ثم مسجد كذلك وما وقف في بابه يومئذ يرى من يدخل من المسجد الجامع لأجل تخليه البلد من الحيطان والبنيان وما ثبتت عمارته الا في اواخر القرن التاسع وما تكاملت البناء الالتصاق والالتئام الا في اواسط القرن العاشر في عهد الاسكيا داود[2] ،

أسس الأسكيا الحاج محمد مسجد يعد من أكبر المساجد بالمدينة يتميز بصومعته الطويلة وهو مبني بالطين مسقوف بالخشب ويختلف في طرازه المعماري عن مسجد تمبكتو وجني فالمئذنة مفصولة عن المسجد .

كما كان في جني مسجد تم بناؤه على تصميم أحد المغاربة يدعى معلوم ادريس وكان معاصرا للساحلي الذي أشرف على مسجد سنكوري وربما كان أحد مساعديه [3]

أما عن مساكن الجماعات القاطنة في تمبكتو فقد بنيت في بداية أمرها من عيدان الأشجار والحشائش والنباتات ثم تطورت هذه المساكن وأصبحت تبنى من شجر الصيان [4] وبقيت فترة من الزمن هكذا الى أن تطورت حياة الناس وأصبحوا يبنون مساكنهم بأوتاد مخلوطة بالطين ومسقوفة بالتبن وقد شرعت مدينة تمبكتو في بناء منازلها ذات الأسقف المنتظمة بعد أن حكمها منسى موسى بفتره قليلة مما يوضح أن مدن مالي بالكامل اتسعت كثيرا على يد هذا الحاكم حيث بنى معظم محلاتها التجارية ومبانيها السكنية على الطراز المغربي الأندلسي كما بنيت حوله الأسوار القصيره جدا[5] يقول السعدي " فأول الحال كانت مساكن الناس فيه زريبات الأشواك وبيوت الأخشاش ثم تحولوا عن الزريبات الى الصناصن بحيث من وقف خارجها يرى ما في داخلها " [6] .

يقول البكري " ومبانيهم بالحجارة والخشب السنط وللملك قصر وقباب وقد احاط بذلك كله حائط كالسور " [7] .

---

[1] الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الاسلامية وعلاقتها بالمغرب وليبيا ، مصدر سابق ، ص 104 .

[2] السعدي ، مصدر سابق ، ص، ص 21 ، 22 .

[3] بوداوية مبخوت ، مرجع سابق ،ص، ص 197 ، 199 .

[4] **الصيان** : هو نوع من الاشجار ذات الجذوع الغليظة التي تكثر بتلك المنطقة ، أنظر محمد فاضل وسعيد ابراهيم ، مرجع سابق ص 98 .

[5] محمد فاضل وسعيد ابراهيم ، مرجع سابق ، ص 98 .

[6] السعدي ، مصدر سابق ، ص 21 .

[7] البكري ، مصدر ، سابق ، ص 175 .

ويقول القلقشندي " حيث أنهم يبنون منازلهم بالطين ثم يتركونه لفتره كافيه من الزمن حتى يجف ثم يقومون بتغطية أسطح منازلهم بالأخشاب وعيدان القصب حيث يضعونها على هيئة قباب ولا يستخدم عامة الشعب الأسوار حول منازلهم لذا كانت جلها متباعدة عن بعضها البعض " [1] .

أما الوازن فيقول "دُور تمبكتو عبارة عن أكواخ مبنية مملوطة بالطين مسقوفة بالتبن" [2] .

كان المهندس أبو إسحاق الساحلي (السهلي) أثر كبير بتطور العمارة في السودان الغربي ذلك انه ادخل الطوب المحروق وأدخل المآذن هرمية الشكل في المساجد وإستحدث السقوف المسطحة للمنازل ، فبفضل اعماله انتشر الفن المعماري المغربي والأندلسي في بلاد السودان خاصة بمدينة تمبكتو ، فقد انتظمت الشوارع وأخذت المباني شكلها المغربي الأندلسي حتى غدت تشابه المغرب مدنه في بناياتها وقصورها، كما كان له أثر كبير في تغيير نمط معيشة السكان فبنى القصور الضخمة منها قصر منسى موسى في عاصمه مملكته فزخرفها بالخشب المطعم بالذهب والفضة وهذا يدل على الذوق الرفيع الذي وصل اليه سكان السودان الغربي[3] .

4 اقتصاديا :

شهدت مدن السودان الغربي ثورة إقتصادية كبيرة تجلت في المظاهر الإجتماعية من حياة السودانيين ، فكان المجتمع الإفريقي في نشأته الأولى يعتمد على الصيد وجني الثمار والزراعة البدائية مما جعل السكان يلجئون الى التجمع والتعاون فيما بينهم للسيطرة على متطلبات الحياة القاسية والمحافظة على بقاءهم على قيد الحياة [4] .

تعد ما دولة مالي دولة زراعية حيث بذل سانديانا جهودا كبيرة لحل مشاكل الارض والتوسع في زراعة القطن والفول السوداني وقد انتعشت التجارة فيها بعد ان استقر الامن في جميع انحاء البلاد و وطدت علاقاتها مع الدول المجاورة لها ولا سيما مع مصر مارة بليبيا عن طريق فزان والمغرب والى جانب هذا الازدهار كثرة الأموال في خزانة الدولة بسبب نظام الضرائب المفروضة على الصادرات والواردات وضرائب الأعشار المفروضة على المواشي والمحاصيل وكذلك الغرامات والجمارك.

[1] القلقشندي مصدر سابق ، ص 283 .

[2] الوازن ، مصدر سابق ، ص 165 .

[3] خالدي مسعود ،مرجع سابق ، ص136 .

[4] الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الاسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا ، مرجع سابق ،78 .

أما التجارة عبر الصحراء فكان لها خصائص مميزة ، فمن الناحية العلمية كان عبور الصحراء يعد إنجاز عظيما يشبه عبور المحيط و التي أفضت الى تنشيط المدن ولاته و تمبكتو وجاو (غاو) و جني وغيرها الى درجة عالية أدى ذلك الى استقدام الثقافة الإسلامية ان ازدهار التجارة – للمسافات الطويلة –ادى الى تقوية سلطة المملكة وتوفير الأمن [1] .

شهدت مدينة كومبي صالح (غانا) نهضة اقتصادية عبر عنها أحد المؤرخين حيث ذكر بأن بالمدينة أرباب نعم كثيرة ،وأموالا جليلة ، وسوقها يؤمه التجار بكثرة حتى أن الرجل لا يسمع إلا جليسه ويتبايعون بالتبر وليس لديهم الفضة [2] .

تقدمت جني كثيرا في المجال التجاري و الثقافي فأصبحت سوقا عظيما من أعظم مدن السودان و أصبحت سوقا عظيمة من أسواق المسلمين وحظيت هذه المدينة بأهمية اقتصادية كبيرة نظرا لموقعها كملتقى للقوافل التي تسير بين شمال الصحراء وجنوبها ، وعمل الملك سنى علي على رفع قيمتها التجارية ودعم الأمن بها

كما أصبحت امبراطورية سنغاي مركزا من مراكز التجارة للسودان الغربي ، حيث نمت سريعا لوقوعها على نهاية الطريق الصحراوي عند المنطقتين الشرقية أما ولاته فبدأت تحتل مكانها كمركز تجاري على طريق الصحراء الجنوبي بعد سقوط مملكة غانا وقيام دولة مالي التي ضمتها الى حدودها [3]

كانت تجارة الصحراء تتم بالتبادل (المقايضة) في معظم الأحيان نظرا لقلة العملات وضعف إنتشاره فغلب عليه أسلوب المقايضة في بلاد السودان الغربي وعرفت بالتجارة الصامتة في بداية التواصل مع سكان السودان الغربي والتي كانت تعتمد على الذهب كسلعة رئيسية الى جانب بعض السلع الأخرى وبتطور التجارة تطور معها أسلوب التعامل ، فأستعملت العملات في بعض المدن السودانية ، والغالب على تلك العملات انها لم تكن مسكوكة ، وتطورت في عهد سنغاي فكانت خزائنهم تملأ بكميات كبيرة من العملات المضروبة ، فكان التعامل في الأسواق الكبرى بهذه الدنانير الى جانب الدراهم التكرورية [4] .

---

[1] ظاهر جاسم الدوري ، افريقيا في العصور الاسلامية ، ط1 دار الجنان للنشر والتوزيع ، الاردن ، 2015 ،ص ص 97 98 .

[2] الهادي المبروك الدالي ، التاريخ الحضاري والسياسي

[3] عبد الله سالم زباينة ، مرجع سابق ، ص ، ص 145 ، 146 .

[4] ميهوب بن فارح ،المعاملات التجارية بين المغرب الاقصى وبلاد السودان الغربي في القرن (8 –10 هـ /14 –16 م) ،مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية ، المركز الجامعي بأفلو ، الاغواط ، 2021 ، ص 232 .

أدت التقوية العلاقات التجارية بين مالي والشمال الافريقي الى إزدهار إقتصادي وإجتماعي وقد عمل الكثير من طبقات المجتمع المالي سواء كانوا من الحكام أم من الرعية ، ويعزى هذا الإزدهار الإقتصادي في المقام الأول إلى سيطرة مملكة مالي على مناجم الملح في تغازل والذهب في نقارة والنحاس في تكدا ، فأضافت عائدا اقتصاديا جديدا إلى الأموال الطائلة التي جناها أهل مالي نتيجة الحركة التجارية الدؤوبة عبر الصحراء الكبرى [1]

كذلك ان الحياة الاقتصادية كانت منظمة تنظيما دقيقا حيث أن الملك كان المالك لجميع الأراضي من الناحية القانونية ولكنها من ناحية العملية كانت تدار من قبل زعماء القرى ، ويعمل بها الأقنان ، حيث كان الآسكيا يمد المزارعين بالبذور وكان لكل مدينة محصلها المالي ، الذي يجبي الاموال والضرائب وهي تشكل الدخل الوفير للآسكيا اضافة الى ما تدفعه الدول التابعة من جزي كما كان الذهب والملح هو النقد المتداول بين الناس ، ولتفادي الغش حدد الآسكيا وحدات قياسية للمكاييل والأوزان ، وأصبحت المدن الكبيرة مزدحمة بالسكان وهي المراكز التجارية المزدهرة في البلاد وأصبحت هذه المدن بشكل طبيعي مراكز مشهورة للدراسات الدينية [2] .

[1] الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الاسلامية وعلاقتها مع المغرب و ليبيا ، ص 67 .

[2] ظاهر جاسم الدوري ، المرجع السابق ، ص 109 .

خلاصة :

ارتبطت تلمسان عاصمة بني زيان برباط سياسي واقتصادي وثقافي وحضاري وعلمي مع بلاد السودان جنوب الصحراء الكبرى وادت دورها اتم الاداء في نشر حضارة الاسلام ويتجلى ذلك من خلال ظهور مراكز ثقافية وعلمية للاشعاع الحضاري.

و بدخول الاسلام الى السودان الغربي تغيرت عاداتهم وطرق تفكيرهم ولبـاسهم بعدما كانوا يسيرون عراة اصبحوا يقتدون بملبس التجار المغاربة والعرب ، كما نظم الاسلام الاسرة السودانية وقضى على عاداتهم الوثنية وبتطور العلاقات بين الطرفين ازدهرت المدن والاسواق وعم الرخاء جميع افراد المملكة من تجار وحكام وعامة الشعب .

خـــــــــاتمة

خـاتمة:

- تعددت الطرق الرابطة بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي والتي كان لها الأثر في ربط المغرب الأوسط بالسودان الغربي وتنشيط الحركة التجارية عبر الصحراء .

- تمكنت تلمسان في العهد الزياني من تأسيس فضاء تجاري متميز بين ضفتي الصحراء كمركز عبور لأهم المنتجات العابرة للصحراء حيث صارت ممرا لطرق الذهب واستغلت هذه الميزة في تنويع نشاطها الاقتصادي والثقافي طوال فترة حكمها .

- شكلت التجارة عصب الحياة في بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي فنشطت بين الإقليمين علاقات تجارية وثقافية ميزتها جملة من العوامل في مقدمتها التقارب الجغرافي وكذا وجود طرق وممرات سهلت عملية التنقل و التواصل، فكانت القوافل التجارية تنطلق من شمال الصحراء الكبرى لتعود محملة من مختلف السلع.

- بروز شبكة من الطرق والتي ربطت بلاد المغرب الأوسط بالسودان الغربي فنشأت مراكز تجارية على طول هذه الطرق ، ثم ما لبثت أن تحولت إلى مدن كبرى تتم فيها المبادلات التجارية ، أدى تطور هذه العلاقات بين ضفتي الصحراء الكبرى إلى ازدهار اقتصادي واجتماعي .

- تنوعت السلع المستخدمة في التبادل التجاري بين بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي فكانوا يحملون معهم خبيث السلع ثم يعودون بالذهب والعاج وريش النعام...

- ارتبط ازدهار الثقافة الإسلامية في غرب افريقيا بانتشار الطرق الصوفية والتي تعد القادرية أول الطرق التي تسربت وتوغلت في السودان الغربي ، لعب المتصوفة دورا رياديا في نشر الإسلام الصحيح عن طريق الدعوة والإصلاح .

- تميزت الحركة الإسلامية في غرب إفريقيا بظهور فئة واعية من المصلحين الذين سعوا إلى محاربة البدع والعادات السيئة التي شاعت في حياتهم وتطهيرهم منها .

- انتشر الإسلام في غرب إفريقيا بأساليب عدة ، فقد ساهم السلوك الطيب للتجار والدعاة في اعتناق الإسلام لسكان السودان الغربي فظهرت ممالك ذات خصائص إسلامية .

- انتشار الإسلام في غرب إفريقيا عن طريق الهجرات العربية والبربرية وكان لهذه الهجرات أثر في نشر الإسلام ولغته وثقافته ، كما كان لرحلات الحج أثر كبير تمثل في استقطاب العلماء والفقهاء إلى افريقيا جنوب الصحراء .

- ازدهـر العمـران وتطـور بـدخول التجـار والـدعاة العـرب و المغاربـة فأصـبح طـابع العمـارة يشـبه العمـران العـربي المغـربي الأندلسـي فبانتقـال الإسـلام الى هـذه الأصـقاع بـدأت تظهـر نمـاذج مـن الفـن الإســـــلامي الـــــذي يحـــــاكي العمـــــارة الأندلســـــية المغاربيـــــة.

الملاحـــــق

الخريطة رقم : 01 الطرق التجارية بين السودان الغربي وشمال افريقيا

الهادي المبروك الدالي ، مرجع سابق ، ص 362 .

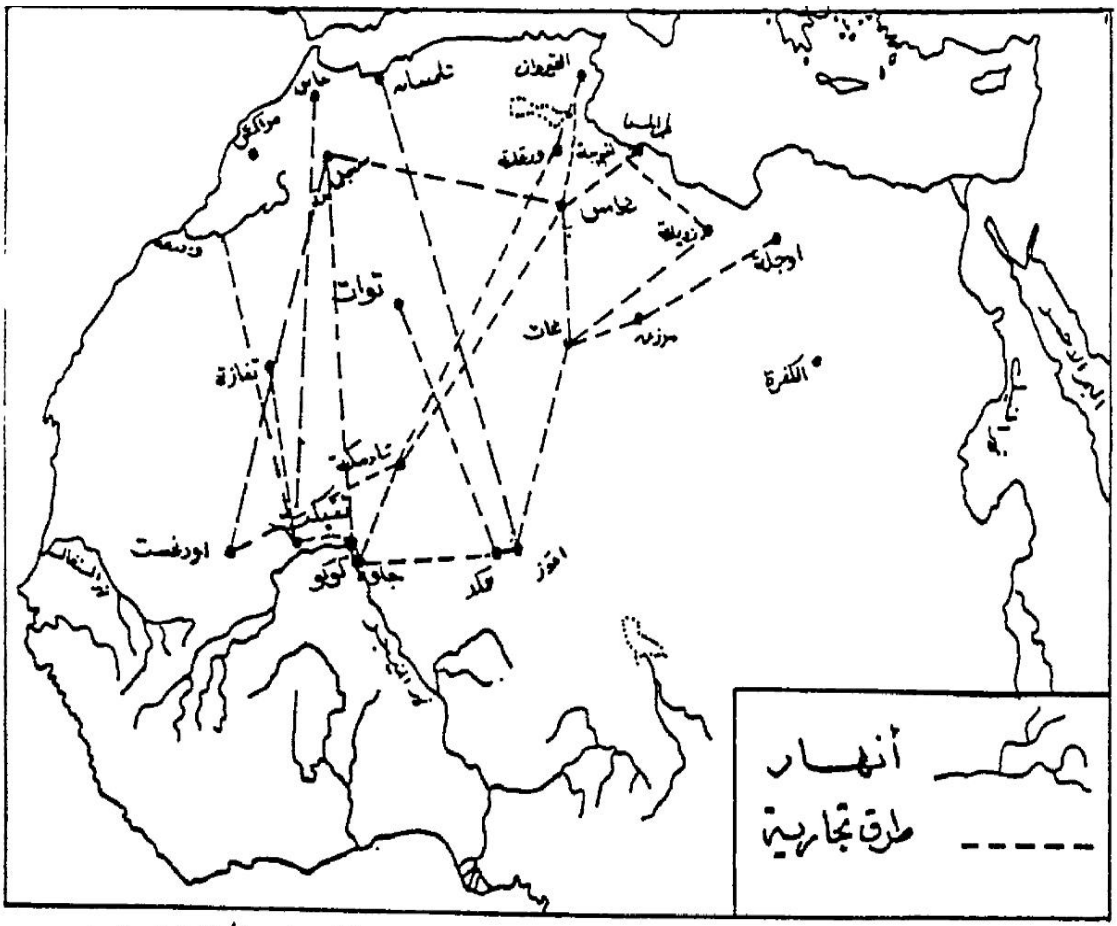

الطرق التجارية بين السودان الغربي وشمال افريقيا

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر :

1- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد, رحلة إبن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار, تح: الشيخ محمد عبد المنعم العريان, ط1, دار إحياء العلوم, بيروت, لبنان,1987.

2- ابن خلدون عبد الرحمن, تاريخ إبن خلدون(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر), د ط ،ج 7, دار الفكر, بيروت ، لبنان, 2000.

3- إبن خلدون يحي أبو زكريا بن محمد, بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد, ط1, مج1, مطبعة بيار فونطانة, الجزائر, 1903 .

4- إبن منظور جمال الدين محمد مكرم, لسان العرب, د ط ، تح: علي عبد الله الكبير وآخرون, دار المعارف, القاهرة,(د س ن).

5- بن حوقل أبي القاسم ، صورة الارض ، د ط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان 1996

6- بن خردذابة أبو قاسم عبد الله , المسالك والممالك ، د ط , مطبعة بريل ليدن (د م ن), 1889.

7- الإدريسي ابي عبد الله محمد بن محمد , نزهة المشتاق في إختراق الأفاق, ط1,م1, مكتبة الثقافة الدينية, مصر, القاهرة, 2002.

8- الأصطخري أبي إسحاق إبراهيم محمد, المسالك والممالك, تح: ميخائيل ديغوية, د ط ، مطبعة بريل, لندن, هولندا, 1927.

9- البكري ابو عبيد ، المسالك والممالك (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، د ط ، مكتبة المثنى ، الجزائر ، 1857 .

10- الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح ، إحسان عباس ، ط 1، (د د ن)، 1975 ، (د م ن) .

11- السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر, تاريخ السودان ، د ط , مطبعة بردين , باريس ,1898.

12- الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد , السير, تح: أحمد بن سعود السيابي, د ط ،ج 1 ، دار النهضة, عمان , مسقط,1987.

13- القزويني زكريا بن محمد بن محمود , آثار البلاد وأخبار العباد, دار صادر, بيروت ، (د س ن).

14- القلقشندي أبي عباس, صبح الأعشى ، د ط , ج 5, دار الكتاب الخديوية, مطبعة الأميرية, القاهرة, مصر، 1915.

15- المراكشي إبن عذاري, البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, تح: كولان بروفيسنال , ط3, ج1, دار الثقافة, بيروت , لبنان, 1983.

16- المغيلي محمد بن عبد الكريم, أسئلة وأجوبة , تح : عبد القادر زبادية , د ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, 1974.

17- الوازن حسن بن محمد, وصف إفريقيا, تر:محمد حجي ومحمد الأخضر, ط2, ج2, دار الغرب الإسلامي, لبنان, بيروت,1983.

18- مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تع : سعد زغلول عبد الحميد ، د ط ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1985 .

قائمة المراجع :

1- أرنولد توماس, الدعوة إلى الإسلام, تر: حسن إبراهيم وآخرون, ط3, مكتبة النهضة المصرية , مصر , 1971.

2- العلوي حسن حافظي, سجلماسة وأقاليمها, د ط ، وزارة التربية والأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية , 1997.

3- الدالي الهادي مبروك, التاريخ الحضاري لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر, ط2 , (د م ن) ،2001.

4- الدالي الهادي مبروك, التاريخ السياسي و الإقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر, الدار المصرية اللبنانية, لبنان, مصر, 1999.

5- الدالي الهادي مبروك, مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا, ط1, دار المتلقى للطباعة والنشر, لبنان, بيروت, 2001.

6- الدوري طاهر جاسم , إفريقيا في العصور الاسلامية, ط1, دار الجنان للنشر والتوزيع , الأردن, 2015.

7- الغنيمي عبد الفتاح, موسوعة تاريخ المغرب العربي, ط1, ج 5, مكتبة مدبولي, مصر , القاهرة، (د س ن) .

8- بازينة عبد الله سالم , إنتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء ,ط1, الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات والنشر, ليبيا , 2010.

9- باري محمد فاضل علي وسعيد ابراهيم كريدية ، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1971 .

10- بحاز إبراهيم, الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية ،(ط م م) (160-296 /777-909) , ط2 , نشر جمعية التراث , القرارة , الجزائر, 1993.

11- بدري محمد فهد, بين المغرب وإفريقيا (الثقافية والسياسية و الإقتصادية و الإجتماعية) , دار المناهج للنشر والتوزيع, الأردن , 2016.

12- بشاري لطيفه , العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بنو عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13- 16 م) ، د ط ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان, الجزائر,2011.

13- بن قربة صالح وآخرون, تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، ط خ , الجزائر, 2007.

14- بوسماحة عبد الحميد, رحلة بني هلال إلى المغرب وخصائصها التاريخية و الإجتماعية , د ط ، ج1, دار السبيل للنشر والتوزيع, الجزائر, 2008.

15- بو عزيز يحي ، تاريخ إفريقيا الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن ال العشرين ، ط خ ، دار البصائر ، الجزائر ،2009 .

16- حسن محمد نبيله , في تاريخ إفريقية الإسلامية (إنتشار في بلاد السودان الغربي من القرن(5-9هـ), د ط ، دار المعرفة الجامعية, مصر, 2007.

17- حسن مؤنس, معالم تاريخ المغرب والأندلس, دار الرشد, 1992.

18- حموده عبد الحميد حسين, تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية, ط1, دار الثقافة للنشر, القاهرة، مصر ، 2008.

19- حويته محمد الصالح, توات الأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث, دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، د ط ، ج1 , دار الكتاب العربي, الجزائر,2007.

20- حويته محمد الصالح, توات الأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث, دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، د ط ، ج2, دار الكتاب العربي, الجزائر,2007.

21- ج – هو بكنز, التاريخ الإقتصادي لإفريقيا الغربية, تر: أحمد فؤاد بلبع تقديم محمد عبد الغني سعودي , المجلس الأعلى للثقافة, مصر , القاهرة،1997.

22- جوليان شارل أندري ، تاريخ افريقيا الشمالية ، تر محمد المزالي و بشير بن سلامة ، ط 4 ، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1983

23- جودت عبد الكريم يوسف, الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3-4 هـ/ 9- 10هـ) , دط ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (د س ن).

24- رجب محمد عبد الحليم, المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء , ط1 ،سفير القاهرة, مصر , 1996.

25- رجب محمد علي , إنتشار الإسلام في إفريقيا , ط1, دار التعليم الجامعي , الإسكندرية , مصر ،2015.

26- فيج جي دي , تاريخ إفريقيا الغربية, تر: السيد يوسف نصر , د ط ، دار المعارف, مصر 1982.

27- فيلالي عبد العزيز, بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط, د ط ، ج1 , دار الهدى, الجزائر, 2014.

28- مارمول كربخال ,إفريقيا تر: محمد حجي وآخرون, ، د ط ،ج3, دار النشر والمعرفة, الرباط ،المغرب 1984.

29- ميقا أبو بكر إسماعيل ، الحركة العلمية و الثقافية و الإصلاحية في السودان الغربي من (400 هـ / 1100 هـ) ،ط1 ، مكتبة التوبة ، المملكة العربية السعودية ، 1997 .

30- مزهودي مسعود ، الاباضية في المغرب الأوسط ، د ط ، المطبعة العربية ، القرارة ، الجزائر ، 1996 .

31- زبادية عبد القادر, الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، (د ط) , ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون , الجزائر ، (د س ن).

32- زبادية عبد القادر ، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون , الجزائر ، (د س ن).

الأطروحات والمذكرات :

1- إكرام محمودي , التجارة ومسالكها في المغرب الأوسط من خلال الكتب الجغرافية التاريخية ما بين القرنين الثالث والخامس هجري (9-11) مذكره لنيل شهادة ماستر في تخصص دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط, اشراف، موسى عيصام ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية ، جامعة يحي فارس المدية, الجزائر, 2014/ 2015 .

2- مبخوت بوداوية , العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان, أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ, تحت اشراف : عبد الحميد حاجيات ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ ، جامعة إلى بكر الصديق، بالقايد تلمسان الجزائر , 2005/ 2006.

3- بوراس العربي , بن يحي نصيرة، الحياة السياسية والاقتصادية الكونية ورحلات من القرن الثاني إلى السادس هجري الثامن إلى الثاني عشر ميلادي مذكرة لنيل شهادة ماستر في تاريخ المغرب الأوسط، بإشراف حاكمي الحبيب,كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, قسم العلوم الإنسانية, جامعة ابن خلدون، تيارت, الجزائر, 2014 / 2015.

4- جميلة بن موسى, تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغرب (3 – 5 هـ / 9-10 م) , مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي , إشراف ابراهيم فخار, كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر , الجزائر ،2000/ 2001 .

5- دحمان مسعود ، فرحان هجيرة ، التجار المغاربة ودورهم. في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي من(7 – 10 هـ/ 13-16 م), المذكرة لاستكمال شهادة الماستر في التاريخ تخصص افريقيا جنوب الصحراء, إشراف بوتدارة سالم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية, قسم العلوم الإنسانية – جامعة احمد دراية – أدرار, الجزائر,2021/2020.

6- سالمي زينب الحركة العلمية في اقليم توات خلال القرون (08-10هـ) , مذكرة مكملة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، اشراف. دبوداوية مبخوت, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم تم تاريخ و علم الآثار, جامعة أبي بكر بلقايد , تلمسان, الجزائر , 2012/2011.

7- فطيمة مطهري، مدينة تيمرت الرستيمية دراسة تاريخية حضارية (2- 3 هـ / 8-9 م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، اشراف: معودي بلحاج , كلية العلوم الاجتماعية, قسم تاريخ و آثار, جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان, الجزائر2009 / 2010.

8- قاصد فريدة, فارس ميمونة, فني الزهرة, الطرق البرية وأهميتها الاستراتيجة في أقاليم المغرب الأوسط (2-10 هـ / 8- 16 م), مذكرة لنيل شهادة ماستر في تاريخ حضارة المغرب الأوسط في العصر الوسيط, إشراف: حاكمي الحبيب, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة. بن خلدون , تيارت, الجزائر 2016/2015,.

9- محمد الصديق بن صالح ، العلاقات الفكرية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي ما بين القرنين (7-9هـ / 13-15 م), مذكرة لنيل شهادة ماجستير تخصص تاريخ وسط اشراف: مفتاح خلفات , الكلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ, جامعة محمد بوضياف المسيلة, الجزائر 2016/2015.

10- مشرف لخضر, الأهمية الإستراتيجية للمغرب الأوسط في العهد الزياني, إشراف: قراوي نادية , مذكرة لنيل شهادة ماستر ,كلية العلوم الإنسانية. والعلوم الاجتماعية ، قسم العلوم الإنسانية, جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة , الجزائر , 2015- 2016.

11- نجاة بلعباس ، بجاية وتلمسان وأثرهما الثقافي والحضاري على المغرب الإسلامي من القرن(5- 7 هـ), مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في أدب المغرب الإسلامي والحضارة المتوسطية تحت اشراف ، محمد مرتاض ،كلية الآداب و اللغات , قسم اللغة والأدب العربي, جامعة أبي بكر بلقايد , تلمسان, الجزائر .

12- رحاب محمد كمال و المغربي محمد أحمد , التجارة في عهد بني حماد (408 -547 هـ / 1017 – 1152 م) ,كلية الآداب, قسم التاريخ , جامعة دمياط, مصر .

المجلات والدوريات:

1- ابراهيم فرغل محمد قيساريات وأسواق مدينة تلمسان في العصر الزياني (633-962 هـ / 1235- 1554) ، مجلة كلية اللغة العربية ،ع 33 ، (رد س ن)، جامعة الفيوم ، مصر.

2- الحاج ميلود, العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي (160- 962 هـ/776- 1554 م), مجلة الدراسات التاريخية الأثرية, ع1, مج 3, 2020، جامعة زيان عاشور الجلفة ، الجزائر،

3- عبد الحميد الجنيدي ،إقليم توات و أهميته في التجارة الصحراوية ، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية ، ع 5 ، 2018 ، جامعة بن خلدون تيارت ، الجزائر.

4- بخده الطاهر، علاقة حواضر المغرب الأوسط " الجزائر بممالك السودان الغربي, دورية محكمة نصف سنوية ع 12, 2014, تصدر عن وزارة الشؤون ، الدينية والأوقاف ، جامعة وهران , الجزائر.

5- خالد بالعربي, الأسواق على المغرب الأوسط خلال العهد الزياني ، دورية كان التاريخية ، ع 6، 2009, جامعة الجيلالي اليابس, سيدي بلعباس، الجزائر.

6- خالدي مسعود أبو إسحاق ابراهيم الساحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فن العمارة الإسلامية في السودان الغربي, مجلة كان التاريخية, ع 37, 2017, جامعة 8 ماي 1945, الجزائر.

7- عمار غرايسة, من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية ورجلان نموذجا ، مجلة الواحات , ع 5 ، (د س ن) ،المركز جامعي الوادي ، الجزائر.

8- قدوري عبد الرحمن, تجارة القوافل عبر الصحراء بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال نهاية العصر الوسيط , مجلة المتون، ع 1، مج11 ، 2018 ،جامعة مولاي الطاهر, سعيدة, الجزائر ,.

9- لطيفه بشاري, منشأت التجارة الخارجية بالمغرب ، مجلة الدراسات في آثار الوطن العربي. بشاري، ع 14 ،(د س ن) , الفيوم , مصر.

10- ميهوب بن فارج , المعاملات التجارية بين المغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي في القرن(8- 10 هـ / 14- 16 م),د ع ، 2021 ، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية, المركز الجامعي, بأفلو، الأغواط .

11- مسعود خالدي ، ابو اسحاق ابراهيم الساحلي الاديب والمهندس المعماري واثره في نشر فن العمارة الاسلامية في السودان الغربي ، مجلة كان التاريخية ، ع 37 ، 2017 ، جامعة 8 ماي 1945 ، الجزائر

12- هواري بكاي ، شركة ال مقوي التجارية ودورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي, مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ع 4، جامعة أبي بكر بالقايد, تلمسان, الجزائر.

القواميس والمعاجم :

1. الفيروز أبادي مجد الدين محمد: القاموس المحيط, تح: محمد نعيم العرقسوسي , ط8 , مؤسسة الرسالة, بيروت, لبنان, 2005.
2. المعجم الوسيط ، ط4 ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، 2005 .
3. بحاز وآخرون , معجم الأعلام الإباضية, ج1, دار الغرب الإسلامي, لبنان , بيروت.
4. محمد عمارة ،قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الاسلامية ، ط1 ، دار الشروق ،بيروت ، لبنان ، 1993.

الفهـــــــــرس

العنوان	الصفحة
شكر و تقدير	
الإهداء	
مقدمة	أ
فصل تمهيدي : جغرافية المغرب الأوسط والسودان الغربي والجذور التاريخية للتواصل بينهما	16
الفصل الأول : الطرق والمسالك الرابطة بين المغرب الأوسط والسودان الغربي	25
1-الطرق الداخلية للمغرب الأوسط .	26
2-أهم الطرق الرابطة بين المغرب الأوسط إلى السودان الغربي .	30
الفصل الثاني : العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي .	37
1-العلاقات التجارية بين حواضر المغرب الأوسط والسودان الغربي	38
- أهم المراكز التجارية في كل من المغرب الأوسط والسودان الغربي .	39
-المبادلات التجارية : السلع المتبادلة بين الإقليمين	52
2-العلاقات الفكرية والثقافية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي .	59
-انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي .	59
-أساليب انتشار الإسلام في السودان الغربي .	61
الفصل الثالث : أثر الطرق التجارية و المسالك على السودان الغربي	70
1- ثقافيا	70
2-اجتماعيا	73
3- عمرانيا	75
4- اقتصاديا	77
خاتمة	82
الملاحق	85
قائمة المصادر و المراجع	90
فهرس المحتويات	98
الملخص	99

ملخص :

لعبت التجارة دورا بارزا في العلاقات بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب الأوسط وقد ارتبط ازدهارها ببروز شبكة من الطرق التي ربطت بين ضفتي الصحراء الكبرى فكان التجار يتوجهون لعرض منتجاتهم في بلاد السودان الغربي متجهة إلى مراكز السودان الغربي لتعود محملة بالبضائع وقد اقترن انتشار الإسلام في السودان الغربي بالنشاط التجاري وهجرة العرب والبربر وإقبال الحكام السودانيين على الإسلام فأسلمت الرعية بإسلام حاكمها وانتشر هذا الدين على نطاق واسع في ممالك وحواضر افريقيا جنوب الصحراء ويمكننا القول أن هذه العلاقات ربطت المغرب الأوسط بالسودان الغربي تاركة تأثيرا حضاريا عميقا شمل جميع المجالات في المجتمع السوداني فبفضل هذا التأثير دخلت منطقة جنوب الصحراء في نطاق الإسلام و حضارته.

الكلمات المفتاحية:

- الطرق، المسالك، المغرب الأوسط، السودان الغربي، العهد الزياني.

Résumé :

Le commerce jouait un rôle prépondérant dans les relations entre les pays du Soudan occidental et les pays du Maghreb central, et sa prospérité était liée à l'émergence d'un réseau de routes qui reliait les deux rives du Sahara. Les commerçants allaient y exposer leurs produits. produits dans les pays du Soudan occidental, se dirigeant vers les centres du Soudan occidental pour revenir chargés de marchandises. Cela s'est accompagné de la propagation de l'Islam dans le Soudan occidental, de l'activité commerciale, de la migration des Arabes et des Berbères et de l'acceptation des dirigeants soudanais. de l'Islam, les sujets se sont convertis à l'Islam de leur dirigeant, et cette religion s'est largement répandue dans les royaumes et les villes d'Afrique subsaharienne. On peut dire que ces relations liaient le Maghreb central au Soudan occidental, laissant une profonde influence culturelle qui comprenait. tous les domaines de la société soudanaise. Grâce à ce rayonnement, la région subsaharienne dans le cadre de l'Islam et de sa civilisation.

Mot Clé : Les routes, Les voies, Le Maghreb centralm, Le Soudan occidentalm, L’époque zianide.